مع القضايا المعنوية والإنسانية التي تعاني منها البشرية

من خطب سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله الشريف)

دار الصادقين
للطباعة والنشر والتوزيع
النجف الاشرف / شارع الرسول صلى الله عليه وآله
٠٧٨٠٨٢٨٩٣٦٤
الطبعة الأولى
١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣م

الفصل الأول

كلمة الحوزة العلمية بمناسبة الاحتفالات بأعياد الميلاد وراس السنة الميلادية

كلمة الحوزة العلمية بمناسبة الاحتفالات بأعياد الميلاد ورأس السنة الميلادية[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلّى الله تعالى على رسوله وآله الطاهرين.

يحتفل الأخوة المسيحيون وغيرهم في مثل هذه الأيام بعيد ميلاد السيد المسيح ورأس السنة الميلادية، ويعبّرون عن فرحهم باحتفالات صاخبة تتضمن الكثير من المعاصي والموبقات الكبيرة والأفعال الجنونية التي لا يجد لها العقلاء مبرراً، ولم يقف أحد وقفة تأمّل ليرى هل أن هذه المظاهر تعبير صحيح عن الفرح في هذه المناسبة؟ وما هي

(١) محاضرتان ألقيتا بتأريخ ١- ٢/ذي القعدة/١٤٢٣ المصادف ٥- ٦ / ١ / ٢٠٠٣م في مسجد الرأس الشريف على حشد كبير من طلبة العلوم الدينية.

المشاعر الحقيقية التي يجب أن تغمرنا ونحن نعيش هذه الذكريات المرتبطة بواحدٍ من أعظم البشر على الإطلاق، النبي الكريم والرسول العظيم، وأحد أولي العزم الذين أمر الله تعالى نبيّه الكريم محمداً صلى الله عليه وآله أن يتأسى بهم قال تعالى في حقه عليه السلام: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾(الأحقاف:٣٥).

الأمور التي يجب الالتفات لها:

لذا وجب الالتفات إلى عدة نقاط:

النقطة الأولى: إنّ إتيان المعاصي والمنكرات أمر مرفوض دائماً تعاقب عليه الشرائع ويستهجنه العقلاء، فليس جزاء من أحسن إليك وأغدق عليك النعم حتى فاقت حدّ الإحصاء، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تحْصُوهَا﴾(النحل:١٨) ويكفي أن تتخيّل صعوبة فقدان نعمة

(١) كنعمة الصحة والأمان.

من التي حباك الله بها لتحس بعظمتها.

أقول: فليس جزاءه أن تعصيه وبنفس النعم التي منّ بها عليك، قال تعالى مؤنّباً ومعاتباً: ﴿هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاّ الإِحْسَانُ ، فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾(الرحمن:٦٠-٦١)، فالمرجو من الإنسان العاقل أن يشكر الله على نعمته بطاعته ومحبته، والعمل بما يرضيه وتجنب ما يسخطه، وأولها ديمومة النعم وزيادتها (بالشكر تدوم النعم)، وقال تعالى: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُم﴾(إبراهيم:٧)، ويوم رأس السنة من مواطن الشكر حيث أطال الله عمر هذا (المحتفل) وأبقاه إلى سنة جديدة ليعطيه فرصة إضافية للتوبة والعودة للطاعة، وزيادة القرب من الله تعالى، ولم يكن ممن اختطفهم الأجل خلال العام المنقضي وانسدّ عليهم هذا الباب، ففي الحديث: (إذا مات المرء فقد قامت قيامته)؛ لأنّ فرصته للعمل وكسب الحسنات قد انتهت وختم على كتابه قال تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ

تَعْمَلُونَ﴾(الجاثية:٢٩)، فهل يكون الجزاء العصيان والتمرد؟ وإلى أمثال هؤلاء يشير القرآن الكريم: ﴿أَلَمْ تَرَ إلى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْراً وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ، جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾(إبراهيم:٢٨-٢٩).

والمعاصي التي تُرتكب في ليلة رأس السنة تفوق كلّ الليالي والأيام ويُعدّ لها منذ مدة إعداداً شيطانياً محكماً لا يُبقي للعقل أي وجود، ويبقى الإنسان المخدوع أسير شهوته وأهوائه لا يستطيع النجاة من فخوخ شياطين الإنس والجن.

كيف يجب أن تكون مشاعرنا:

إنّ مشاعرنا ونحن نستقبل سنة جديدة يجب أن تكون مزيجاً من اتجاهين:

الأول: توجّس وقلق من حساب الله تعالى على ما صدر منّا من أعمال خلال العام الماضي، وقد ذهبت لذّته، وبقيت تبعته وعقابه، وقد نسيه العبد لغفلته، ولكن الله

أحصاه وأحاط به، ولن يغفل عنه ويأتي اليوم الذي يحاسبه فيه على كلّ ما قدم.

الثاني: التفاؤل والأمل وحسن الظن بالله تعالى أن يلطف بنا ويوفقنا ويأخذ بأيدينا في العام الجديد ليجعله خيراً من العام الماضي، فيجنّبنا فيه المعاصي ويزيدنا من الطاعات قدر الإمكان انطلاقاً من الحديث الشريف: (من تساوى يوماه فهو مغبون، ومن كان أمسه خيراً من يومه فهو ملعون).

فإن كلّ سنة تمثل سجلاً وكتاباً يضم صحائف أعماله، وفي مثل ليلة رأس السنة يطوى سجل ويفتح سجل، يطوى سجل العام الماضي ويختم عليه بما فيه ـ وما أدراك ما فيه ـ ليعرض يوم النشور ويُحاسب على كلّ صغيرة وكبيرة، قال تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِراً وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾(الكهف:٤٩)، ويفتح

سجل للعام اللاحق بصحائف بيضاء؛ فبماذا سيملؤها هذا الإنسان المسكين؟ هل سيعود إلى نفس حياته السابقة أم أنهّ يثوب إلى رشده ويأخذ العبرة من الماضي؟

بالالتفات إلى أن زيادة كلّ ثانية ودقيقة إلى عمره يعني إعطاء فرصة إضافية للطاعة، فإن العمر رأس مال الإنسان يستطيع أن يستثمره في الطاعة، فيكسب رضا الله تبارك وتعالى والمنازل الرفيعة في الجنان، وصحبة خير خلق الله أو يقضيها بالمعاصي فيجرّ إلى نفسه عذاب الجحيم، وهذه الفرصة الإضافية التي تعطى للإنسان كالطالب الذي يُعطى حظاً ثانياً في امتحانات الدور الثاني لعلّه ينجح[1]، فهل يُعقل منه أن يعود إلى نفس التقصير والإهمال وهو يعلم الكارثة التي تترتب على

(١) أليس هذا فضلاً من إدارة المدرسة ولطفاً منها لتستطيع أن تعوض ما ضيعته في الدور الأول، وهكذا نحن إذا لم نستطيع أن نحصل على درجات رفيعة سنة ٢٠٠٢م، فلنسعَ للحصول عليها سنة ٢٠٠٣م.

السقوط والفشل؟!.

وأرى من المناسب أن أعظ نفسي وأعظكم بنقل هذا المشهد من مشاهد يوم القيامة كما يعرضه القرآن الكريم، وهو عبارة عن محكمة إلهية يقف فيها المذنب ـــ وهم هؤلاء الذين قضوا حياتهم بالمعاصي والموبقات ـــ وأمامه الشهود وهم نفس أعضائه التي مارس بها تلك المعاصي لكي لا يستكبر وينكر، ثمّ يُصدر عليه الحكم العادل الذي جناه هو على نفسه، قال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُون ،وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُون، وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلا أَبْصَارُكُمْ وَلا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لا يَعْلَمُ كَثِيراً مِمَّا تَعْمَلُونَ، وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ، فإن يَصْبِرُوا فَالنَّارُ

مَثْوىً لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ ،وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنِّ وَالأِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ﴾(فصلت: ٢٠-٢٥).

هذه هي المشاعر التي يجب أن نحياها في ليلة رأس السنة، لا ما يفعله هؤلاء الغافلون السادرون في أودية الغي تسوقهم شياطين الإنس والجن أنىّ يشاءون، فيهدوهم إلى عذاب السعير.

المطلوب محاسبة النفس كل ليلة:

وفي الحقيقة فإن المطلوب أن نحاسب أنفسنا في كلّ ليلة[1]؛ حيث نختلي بأنفسنا مع خالقنا ونستعيد ما صدر منا خلال اليوم، فما

(١) وذلك لأن الإنسان معرض للنسيان فإذا ما أهمل محاسبة نفسه فستفوته فرصة قد تنجيه من عذاب أليم ولهذا حرص أهل البيت عليهم السلام على أن يربوّا أصحابهم على محاسبة النفس كلّ يوم.

كان من حسنة استزدنا الله منها وسألناه القبول ومضاعفة الأجر، وما كان من سيئة استغفرناه منها وعاهدناه تبارك وتعالى على عدم العود، وإذا تعلق بمظالم العباد استعنّاه على رد الظلامات إلى أهلها، وما كان من تقصير في عمل صالح سألناه المعونة والتوفيق والتسديد، فلقد جاء عن الإمام الكاظم عليه السلام قال: (ليس منّا من لم يحاسب نفسه في كلّ يوم، فإن عمل حسناً استزاد الله، وإن عمل سيئاً استغفر الله منه وتاب إليه)[1]، وأيضاً من وصية النبي صلى الله عليه وآله لأبي ذر رضي الله عنه إنهّ قال: (يا أبا ذر، حاسب نفسك قبل أن تحاسب؛ فإنه أهون لحسابك غداً، وزن نفسك قبل أن توزن، وتجهّز للعرض الأكبر يوم تعرض لا تخفى على الله خافية ـ إلى أن قال ـ يا أبا ذر، لا يكون الرجل من المتقين حتى يحاسب نفسه أشّد من محاسبة الشريك شريكه؛ فيعلم من

(١) بحار الأنوار: ٦٨ / ٢٥٩، ح٣.

أين مطعمه ومن أين مشربه، ومن أين ملبسه؟ أمن حلالٍ أو من حرام؟ يا أبا ذر، من لم يبال من أين اكتسب المال لم يبال الله من أين أدخله النار)[1]، وعن الإمام الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: (ما من يوم يأتي على ابن آدم إلا قال له ذلك اليوم: يا ابن آدم، أنا يوم جديد، وأنا عليك شهيد، فافعل فيَّ خيراً واعمل فيَّ خيراً أشهد لك يوم القيامة فإنك لن تراني بعدها أبداً)[2]، وهذه المحاسبة تكون في نهاية السنة أشمل وأوسع كما يفعل الإعلاميون حين يصدرون ملفاً بأهم الأحداث السياسية أو الرياضية أو الاجتماعية التي شهدها العام المنقضي، وعلى كلّ واحد منّا أن يُراجع ملف أعماله في نهاية العام.

(١) وسائل الشيعة: كتاب الجهاد، أبواب جهاد النفس، باب ٩٦، ح٧.

(٢) بحار الأنوار: ٧ / ٣٢٥، ٢٠.

الموعظة ليست للمسلمين فقط:

وهذه الموعظة لا أوجهها للمسلمين فقط، بل للاخوة المسيحيين، بل وحتى غيرهم، فقد أدّبنا الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام أن نضمر الخير والرحمة ونسعى لتحقيقه لجميع البشر، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء:١٠٧)، فبركته صلى الله عليه وآله لجميع الإنسانية، وقال أمير المؤمنين عليه السلام وهو يوصي مالك الأشتر بجميع رعيته حينما ولاّه مصر: (فالناس صنفان: إمّا أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق) لأنّ البشر جميعاً سيقومون للحساب يوم القيامة، ويُسألون عن أعمالهم، فلقد جاء في الذكر الحكيم: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيّاً ، ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً﴾(مريم:٧١-٧٢)، فنحن نريد لهم النجاة، وقال تعالى: ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً﴾(النساء:٦٠) فقد غرّر بهم الكثير من أحبارهم ورهبانهم،

وزيّنوا لهم المعاصي، وأحلوا لهم الحرام وحرّموا الحلال، وبّدلوا شريعة الله، ثمّ أوهموهم بعقائد فاسدة كفداء السيد المسيح، وصكوك الغفران التي جرأتهم على العصيان، وقد حذّرهم الله تعالى من هذه الطاعة للذين اتخذوا الدين وسيلة لنيل الدنيا التافهة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيراً مِنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾(التوبة:٣٤)، وطاعة مثل هؤلاء شرك بالله تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾(التوبة:٣١)، وقد فسّرها الإمام الصادق عليه السلام بقوله: (أما والله ما دعوهم إلى عبادة أنفسهم، ولو دعوهم إلى عبادة أنفسهم ما أجابوهم، ولكن أحلّوا لهم حراماً وحرّموا عليهم حلالاً فعبدوهم[1] من حيث لا

(١) والعبادة هي الطاعة والإتباع وقد تبعوا الرهبان ولم يتبعوا الله تعالى.

يشعرون)[1].

وأعتقد أنّ كلّ مسيحي نقي القلب والسريرة يعرف بوضوح أنّ الكثير مما غضّ عنه رجال دينهم أنظارهم هي معاصي لله تبارك وتعالى، ويتساءل سيدنا الأستاذ دام ظله في بعض خطبه: هل كان السيد المسيح يشرب الخمر، أو يزني، أو يستبيح دماء البشر من أجل المصالح الشخصية وحب الأنا؟ أم هل كانت مريم العذراء ترتمي في أحضان الرجال وتمشي وسطهم خليعة متبرجة؟ فالمسيحي الصادق يقتدي بهؤلاء الأنقياء العظماء، ولا يجد دستوراً كاملاً للصفات الكريمة التي تلحق بهم إلا في الإسلام إذا أراد لنفسه النجاة.

علة تركيز الغرب الكافر على التأريخ الميلادي:

النقطة الثانية: لقد عوّدنا الغرب على

(١) الميزان في تفسير القرآن: ٩ / ٢٥٤، عن الكافي.

تعظيم ما عنده وإعطائه هالة مقدسة، والتقليل من شأن ما عندنا ليرسخ فينا التبعية له حتى يسهل سلخنا من ديننا وأخلاقنا ومبادئنا، ومن ذلك تركيزه على التأريخ الميلادي وأنّه دقيق ومضبوط بعكس التأريخ الهجري.

وقد انخدع المسلمون بذلك وتركوا التأريخ الهجري والتزموا بالميلادي، وأضاعوا على أنفسهم الكثير من المناسبات الدينية والليالي والأيام الشريفة التي يتضاعف فيها العطاء الإلهي، وهم وإن لم يستطيعوا محوها فبقي شهر رمضان ويوم عاشوراء ومناسبات أخر ماثلة في الأذهان إلا إنّ الخسارة بهذا الإهمال للتأريخ الهجري ـ الذي ما زال راسخاً ـ كانت كبيرة رغم إنّ الحقيقة هي عكس ما أوهمونا، فإن التأريخ الهجري هو المضبوط الدقيق.

فإن بداية اليوم عندهم هي الساعة الثانية عشرة ليلاً وهو لا معنى له، بينما اليوم الشرعي عندنا يبدأ بطلوع الفجر أو الشمس

وينتهي بغروبها، وهو شيء له معنى، كما أن بدايات الشهور عندنا مرتبطة بظاهرة فلكية واضحة، وهي ولادة الهلال، أمّا عندهم فغير مرتبطة بشيء وإنمّا هي خاضعة لحسابات واعتبارات؛ لذا وقعت تعديلات كثيرة منها على التأريخ حينما يكتشفون خطأ تأريخهم كما لو لم يصادف يوم الاعتدال الربيعي الحادي والعشرين من آذار (وفي سنة ١٢٦٣ قام روجر باكون بكتابة رسالة إلى البابا كلمنت الرابع شارحاً فيها الوضع، وعلى كلّ حال لم يتم السيطرة على تلك المشكلة إلا بعد مرور ثلاثة قرون، وكان ذلك في شهر تشرين الأول عام ١٥٨٢م، فقد تمّ إسقاط عشرة أيام بجعل الخامس منه الخامس عشر منه وسُمِح هذا التغيير للاعتدال الربيعي عام ١٥٨٢م، أن يصادف الحادي والعشرين من آذار)[1]، (وفي عام ١٩٠٠م صادف الاعتدال

(١) المواقيت الإسلامية للدكتور محمد إلياس: ١٦.

الربيعي اليولياني في الثامن من الشهر، وبقي الحال على ما هو عليه حتّى قيام الحرب العالمية الأولى حينما تبنّى الاتحاد السوفيتي التقويم الكريكوري (بإسقاط ١٣ يوماً)، ومن المعتقد أن بعض الكنائس الأرثودوكسية بقيت متمسكة بالسنة اليوليانية؛ فبالنسبة لهم يكون عيد ميلاد المسيح في السادس من كانون الثاني، والذي يصادف في الخامس والعشرين من كانون الأول في التقويم اليولياني المعدل)[1].

ما هي الحقيقة التي يخفونها:

والذي أريد أن أُنبّه عليه إنّهم يخفون حقيقة يؤمنون بها جميعاً لكنّهم تواصوا على إخفائها حفظاً لهيبتهم، فإنّه لم يثبت أنّ السنة التي نحن فيها هي (٢٠٠٣م) منذ ميلاد السيد المسيح وإنمّا حدّد سنة مولد السيد المسيح كاهن سوري يدعى دونيسيس اكسكيوز سنة

(١) المصدر السابق: ١٧.

٥٣٢ للميلاد معتمداً على بيانات متفرقة، إذ لا يوجد في الإنجيل تأريخ ميلاد المسيح، ولم تصبح وجهة النظر هذه مقبولة إلا بعد مضي قرنين ونصف القرن، ولسوء الحظ فقد ثبت إن دونسيس كان خاطئاً في حساباته فعند البعض إنّه ولد قبل ذلك بأربع سنين، وعند بعض آخر بسبع عشرة سنة، ويعتقد كذلك أنّ تأريخ الميلاد (يوماً وشهراً) كذلك كان خاطئاً.

هناك شخصين مسميين بالمسيح:

ويذهب بعض المؤرخين ـــ بسبب الحقائق التأريخية المتناقضة ـ إلى أنّ هناك شخصين مسميين بالمسيح: المسيح غير المصلوب والمسيح المصلوب، وبينهما من الزمان ما يزيد على خمسة قرون، وأنّ التأريخ الميلادي المتداول لا ينطبق على واحد منهما، بل المسيح الأول غير المصلوب يتقدّم عليه بما يزيد على مائتين وخمسين سنة، وقد

عاش نحواً من ستين سنة، والمسيح الثاني المصلوب يتأخر عنه بما يزيد على مائتين وتسعين سنة، وقد عاش نحواً من ثلاث وثلاثين سنة[1]، وفسّر السيد الطباطبائي قدس سره قوله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ﴾(النساء:١٥٧) بقوله: (وربما ذكر بعض محققي التأريخ إنّ القصص التأريخية المضبوطة فيه عليه السلام والحوادث المربوطة بدعوته وقصص معاصريه من الحكام والدعاة تنطبق على رجلين اثنين مسمّيين بالمسيح ـ

(١) الميزان في تفسير القرآن: ٣ / ٣١٤، وعلق قدس سره قائلاً: على أنّ عدم انطباق التأريخ الميلادي على ميلاد السيد المسيح في الجملة ممّا لم يسع النصارى إنكاره، وهو سكتة تأريخية وأرجع القارئ إلى قاموس الكتاب المقدس مادة (مسيح) ويذكر أحد الشواهد على ذلك ما ورد في كتاب في تأريخ البشر: أنّ رسالة كتبت سنة ٦٢ ميلادية جاء فيها أنه سأل شيوخ ومعمري المدينة ـ أي أورشليم فلم يعرفوا عنه شيئاً.

وبينهما ما يزيد على خمسمائة سنة ـ: المتقدِّم منهما محقٌّ غير مقتول، والمتأخَّر منهما مبطل مصلوب، وعلى هذا فما يذكره القرآن من التشبيه هو تشبيه المسيح عيسى بن مريم رسول الله بالمسيح المصلوب)[1].

ومن هذا يظهر أن التأريخ المسيحي غير صحيح لا سنة ولا شهراً ولا يوماً، وأنَّ توزيع الليل والنهار لا معنى له مقابل الدقة التي يبتني عليها الحساب الشرعي والمرتبط مباشرة بظواهر فلكية معلومة وواضحة للجميع، وهم لهم عدة تقاويم غير متطابقة، بينما نحن لنا تقويم واحد متّفق عليه ومما يساعد على ثبوته وعدم الاختلاف فيه اعتماده بوقت مبكر من تأريخ الإسلام في عهد الخليفة الثاني.

(١) الميزان في تفسير القرآن ٥ / ١٣٣.

فناء الأشخاص في شخص القائد:

النقطة الثالثة: إنّ ارتباط التأريخ المسيحي بميلاد السيد المسيح عليه السلام يعني فكرة حاول قادة الإسلام إزالتها من الأذهان وهي فناء الاتباع في شخص القائد وذاته لا في مبدأه وفكره الذي جاء به، والصحيح هو العكس؛ لأن الارتباط بذات القائد مهما كان القائد عظيماً ـ كالرسل عليهم السلام ـ يؤدي إلى نتائج سلبية، عديدة، وتكون المشكلة أعظم لو لم يكن هذا القائد من المعصومين.

ومن الأخطاء التي تمخض عنها هذا التقديس للذات: التأليه؛ وهذا تيه عظيم أدىّ إلى الضياع والانحراف لأنهّم ضيّعوا الرسالة التي جاءهم بها الرسول وذابوا في الشخص، لذلك كان رسول الله صلى الله عليه وآله حريصاً على أن لا يقعوا في هذا الخطأ، فعندما دخل عليه رجل فأخذته هيبته صلى الله عليه وآله وارتعدت فرائصه قال له صلى الله عليه وآله: (هوّن عليك؛ إنما أنا ابن امرأة كانت تأكل القديد بمكة)، وقال أمير المؤمنين عليه السلام:

(لا يُعرف الحق بالرجال؛ اعرف الحق تعرف أهله).

وقد أسّس القرآن الكريم هذه الحقيقة بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾(الزمر:٦٥) وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِين ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾(الحاقة:٤٤-٤٦) لذا لم يُسَمِّ أتباع النبي صلى الله عليه وآله بالمحمديين، وإنّما سماهم المسلمين، قال تعالى: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾ (الحج:٧٨). كما لم يذكر أتباع السيد المسيح باسم المسيحيين، بل النصارى في موارد عديدة من القرآن الكريم.

بداية التأريخ الإسلامي:

وكاد صحابة النبي صلى الله عليه وآله أن يقعوا في هذا الخطأ حينما اجتمعوا لوضع تأريخ لهم،

فاقترح بعضهم أن يبدأوا من سنة ولادة النبي صلى الله عليه وآله، إلا أنّ أمير المؤمنين صلى الله عليه وآله أقنعهم بأن يبدأوا التأريخ من هجرة النبي صلى الله عليه وآله، من أجل أن لا يرتبطوا بشخص النبي صلى الله عليه وآله بل بالمبدأ الحق؛ لأن الهجرة بداية حقيقية لتأريخ الإسلام وانتصاره حيث حصلَ فيه المباينة الكاملة بين معسكر الحقّ ومعسكر الباطل الذي هو شرط مهم لتحقيق النصر، وبهذه المحاولة ربط أمير المؤمنين عليه السلام المسلمين بعقيدتهم ومبدأهم وصانهم من الوقوع في تأليه الذوات وتقديسها.

يوم الغدير أعظم عيد:

ولذا كان يوم الغدير أعظم عيد في الإسلام وبه تمام الرسالة؛ لأنهَّ يوم انتقال ولاية أمر المسلمين من القائد الشخصي وهو رسول الله صلى الله عليه وآله إلى القائد النوعي، أي كلّ من حمل صفات ومؤهّلات حامل الرسالة فحافظ على ديمومة الرسالة وحمايتها من الإنحراف،

وكان يمكن أن تندثر لو ارتبطت بالشخص فمات أو قتل، فهذه فكرة مهمة يجب الالتفات إليها[1].

موجبات احتفالنا بذكرى السيد المسيح عليه السلام:

النقطة الرابعة: اعتاد خطباؤنا ـ جزاهم الله خير الجزاء وأيّدهم بتأييده ـ أن يحيوا المناسبات الدينية وذكريات المعصومين عليهم السلام، ومن يتعلق بهم من ذرّية وأصحاب، وهم بذلك يعظمون شعائر الله، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾(الحج:٣٢)، وكلّ هذا صحيح وضروري لكنّني أراهم في غفلة تامة عن إحياء ذكرى السيد المسيح في ميلاده الشريف رغم وجود أكثر من مبرر لذلك غير

(١) فأنقذ الناس من الارتباط بالحامل الشخصي وارتبطوا بالحامل النوعي لأنهم إذا ارتبطوا بالشخص فيمكن أن تندرس الرسالة بموت ذلك الشخص.

ما ذكرنا منها:

١. إنهّ من أعظم الرسل ومن أُولي العزم ومن أكرم خلق الله تعالى، وهو نبي رسول معصوم صاحب رسالة إلهية عظيمة، ومنشئ أمة كبيرة، وقد وصفه الله تعالى بأكرم الأوصاف وأشرفها فقد حبى السيدة مريم بنت عمران: ﴿بكلمةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا وَالأخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾، ﴿وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾، ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإنْجِيلَ﴾، ومؤيداً بروح القدس: ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾(آل عمران: ٤٥ ــ ٤٦ و ٤٨)، ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً﴾، ﴿وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً﴾ ﴿وَسَلامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيّاً﴾(مريم ١٥، ٣١-٣٢).

٢. إن يوم مولده الشريف بما تضمن من معاجز وأسرار إلهية بل كلّ حياته عليه السلام من أيام الله التي أمر رسول الله صلى الله عليه وآله بتذكير البشر

بهـا، قـال تعـالى: ﴿وَذَكِّـرْهُمْ بِأَيَّـامِ اللَّـهِ﴾ (إبراهيم:٥)، وهي مما لا يمكن إنكارها، وقـد ذكر القرآن الكريم عدّة منها كإحيـاء المـوتى وإبراء ألأكمه والأبـرص ونفـخ الـروح فـي الجمادات ونزول المائـدة مـن السـماء ممـا يوجه صفعة عظيمة إلى المادية التي آمن بهـا مـدعو الانتسـاب إليـه ونفـوا كـلّ مـا وراء المادة[1].

المواعظ والحكم في حياة المسيح عليه السلام:

٣. إنّ حياته الشريفة تضمنت الكثير من المواعظ والحكم والعبر والكلمات التي تحيي القلوب وتطهّر النفوس وتهب للبشرية السعادة والسلام، وقد نقلهـا لنـا أئمتنـا عليهم السلام بصـدق وأمانة، فمن دروسه عليه السلام في التواضع أنهّ قـال لحوارييه: (لي إليكم حاجة اقضوها لي. قالوا: قضـيت حاجتـك يـا روح الله! فقـام فغسـل

(١) إذن فماذا تقولون بمعاجز نبيكم صلى الله عليه وآله.

أقدامهم. فقالوا: كنا نحن أحق بهذا يا روح الله، فقال عليه السلام: إنّ أحقّ الناس بالخدمة العالم؛ إنّما تواضعت هكذا لكي ما تتواضعوا بعدي في الناس كتواضعي لكم، ثم قال عيسى عليه السلام: بالتواضع تعمر الحكمة لا بالتكبر، وكذلك في السهل ينبت الزرع لا في الجبل)[1]، وقصته في توبيخ المعجب بنفسه حيث: (صحبه رجل في سيحه في البلاد ومشى معه على الماء لما قال: (بسم الله) بيقين، فدخله شيء من العجب وأن لا فرق بينه وبين عيسى عليه السلام، فرُمِس في الماء، ولما أخرجه عيسى عليه السلام قال له: لقد وضعت نفسك في غير الموضع الذي وضعك الله فيه، فمقتك الله على ما قلت، فتب إلى الله عزّ وجلّ مما قلت. قال الإمام الصادق عليه السلام: فتاب الرجل وعاد إلى مرتبته التي وضعه الله

(١) القلب السليم: ٢ / ٢٧٢، عن الكافي، باب صفة العلماء.

فيها، فاتقوا الله ولا يحسدنّ بعضكم بعضاً)[1].

وأمثلته في تحقير الدنيا وفنائها وزوالها وخداعها مؤثرة في القلوب، وأمّا زهده فيصفه أمير المؤمنين عليه السلام نبراس الزاهدين قائلاً: (وإن شئتَ قلتُ في عيسى بن مريم عليه السلام؛ فلقد كان يتوسّد الحجر ويلبس الخشن ويأكل الجشِبْ، وكان إدامة الجوع وسراجه بالليل القمرَ، وظلاله في الشتاء مشارقُ الأرض ومغاربَها، وفاكهته وريحانه ما تنبت الأرض للبهائم، ولم تكن له زوجةٌ تفتنه ولا ولدٌ يَحزُنُه ولا مال يَلفِتُه ولا طَمعٌ يُذلُّه، دابته رجلاه وخادمه يداه)[2].

٤. إنّه ممّن بشّر بالنبي عليه السلام وألقى الحجة على اتباعه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرائيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ

(١) المصدر السابق: ٢ / ١٥٥، عن الكافي، باب الحسد.

(٢) نهج البلاغة: ٢٢٧، تحقيق صبحي الصالح.

وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أحمد فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾(الصف:٦).

المسيح عليه السلام ناصر للإمام المهدي عليه السلام:

٥. إنّا نحن الإمامية بالذات نرتبط بالسيد المسيح عليه السلام برابطة إضافية؛ لكونه الناصر المدخر لليوم الموعود، وهو عنصر مهم في حركة الإمام عليه السلام، فالحديث عن السيد المسيح عليه السلام جزء من قضيتنا المصيرية أعني يوم الظهور المبارك، وهذا مما ذكرته مصادر الفريقين، فقد أخرج البخاري عن أبي هريرة قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله: كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم)[1]، وأخرج الصدوق في إكمال الدين عن أبي جعفر الباقر عليه السلام: (القائم منّا منصور بالرعب.. إلى أن قال: وينزل روح الله عيسى

(١) وقد رواه الترمذي وابن ماجة راجع المصادر في تأريخ ما بعد الظهور: ص٥٩١.

بن مريم فيصلّي خلفه)[1].

ومدخليته في قضية الإمام عليه السلام من عدّة نواحٍ:

أ- طول عمره الشريف؛ فإنّه لم يُقتل ولم يُصلب، بل رفع إلى السماء ويبقى حياً إلى يوم الظهور، فحياته هذه السنين الطويلة حجّة على منكري غيبة الإمام وطول عمره.

ب- إذعان الأمم المسيحية وتسليمهم للإمام عليه السلام، وهم يشكلون نسبة كبيرة من البشر (وذلك حين يثبت لهم بالحجّة الواضحة أنّه هو المسيح يسوع الناصري نفسه، وأنّ الإنجيل والتوراة إنمّا هي هكذا وليست على شكلها الذي كان معهوداً، وأنّ ملكوت الله الذي بشر به هو في حياته الأولى على الأرض قد تحقق فعلاً متمثلاً بدولة العدل العالمية، ولن يبقى منهم شخص من ذلك الجيل المعاصر للظهور

(١) تأريخ ما بعد الظهور، للشهيد السيد محمد الصدر قدس سره: ص٥٩٥.

إلا ويؤمن به) كما هو المستفاد من قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلاّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾(النساء:١٥٩).

جـ - إنّه نتيجة للأمر الأول سوف يتيسر الفتح العالمي بدون قتال، بل نتيجة للإيمان بالحق والإذعان له، وقد سبق أن تكلمنا عن ذلك مفصلاً وعرفنا أن الجانب الفكري في الفتح العالمي سيكون أوسع بكثير من الجانب العسكري[1]، وهذا ما نرى بوادره اليوم حيث أتاحت شبكات الاتصال العالمية فرصة التعرف على عظمة الإسلام لكلّ البشر بيسر.

د- تكفل المسيح عيسى بن مريم عليه السلام للقيادة في جانب، أو عدّة جوانب من الدولة العالمية، وتحمله مسؤوليتها كما لو أصبح في مركز مشابه لرئيس الوزراء في الدولة

(١) تأريخ ما بعد الظهور، للشهيد السيد محمد الصدر: ص٥٩٥.

الحديثة، أو تكفّل الحكم في رقعة كبيرة من الأرض أو الدولة العالمية، فإن المسيح عيسى بن مريم عليه السلام وإن كان نبياً مرسلاً وليس الإمام المهدي عليه السلام كذلك غير أنّ القيادة العليا تبقى موكولةً إلى المهدي، وقد ذكر سيدنا الأستاذ قدس سره لذلك عدة وجوه فراجعها[1].

لماذا ادّخر المسيح عليه السلام دون سائر الأنبياء:

واختصاص السيد المسيح بهذا الادخار من دون سائر الأنبياء له سّر؛ إذ إنهّ يكشف عن إن المواجهة الرئيسية المهمة للإمام المهدي عليه السلام ستكون مع دول الغرب التي تدين للسيد المسيح عليه السلام، فيكون ظهوره وصلاته خلف الإمام عليه السلام حجّة ضدّهم ويجردهم من كلّ حق في هذه المواجهة، وعندئذٍ سيذعن المؤمنون منهم للإمام عليه السلام لوضوح حقّه عليه السلام وباطلهم وهو يكشف عن درجة من درجات الإيمان لدى المسيحيين،

(١) المصدر السابق: ص٦٠٥.

إذ أنهّم سيتبعون الحقّ عند اقتناعهم به.

أمّا اليهود الذين سيكونون المحرضّين لدول الغرب ويدفعون المسيحيين نحو المواجهة فإنهّم متمردون على نبيهمعليه السلام ولا يطيعونه، فلا ينفع بقاءه لليوم الموعود ويبدو أنهم يومئذ متحكمون في مصائر وشؤون حياة الدول المسيحية، وهذا ما نراه اليوم في تحكم اللوبي الصهيوني في الإدارة الأمريكية، قال تعالى في بيان الفرق بين اليهود والمسيحيين: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ ،وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ، وَمَا لَنَا لا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ، فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا

وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾(المائدة:٨٢-٨٦).

وأعتقد أنّ كلّ مسيحي غير قاسي القلب يتفاعل مع هذا النص، كما تفاعل النجاشي ملك الحبشة مع المهاجرين الأوائل بقيادة جعفر بن أبي طالب ووفّر لهم الحماية والأمان في أرضه، وقال لهم: والله ما زاد المسيح على ما تقولون هذا، بعد أن قرأوا عليه سورة مريم.

مشاهد من عبثية الغرب:

النقطة الخامسة: إنّ الاحتفالات التي تجري بمناسبة رأس السنة تتضمن الكثير من التصرفات اللاعقلائية والأفعال الجنونية، وتؤدي إلى إهدار الكثير من الأموال وإلى أضرار كثيرة، كالألعاب النارية وصناعة الدمى الضخمة والزينة المفرطة، والغريب أنهّم يستهزئون بشعائرنا الدينية من صلاة وطواف

بالبيت أو رمي الجمرات أو الشعائر الحسينية رغم ما فيها من معاني روحية سامية، وقد انخدع المنبهرون بالصورة الظاهرية اللماعة للغرب، وراحوا يستنكرون هذه الشعائر، وقد عميت أبصارهم عن أفعال الغرب العابثة المجردة من كلّ معنى.

وأذكر لكم نماذج من مهرجاناتهم وقد قلتها في مناسبة سابقة، ففي إيطاليا يقام (مهرجان البرتقال) حيث يتجمع آلاف الناس في الشوارع العامة وتدور عليهم عربة تجرّها الخيول من سنخ عربات العصور الوسطى وتوزع عليهم البرتقال، ثم تعود هذه العربة مرة أخرى وعلى ظهرها أبطال البرتقال وتنشب الحرب بينهم وبين الآلاف المتجمهرة حيث تشق العربة طريقها بينهم بصعوبة، وسلاح الفريقين البرتقال الذي يترامیان به بكلّ همَّة وجدية وكأنهّم يشيّدون بذلك معالم الحضارة التي يتشدقون بها، إنهّ الكفران العظيم بنعم الله تبارك وتعالى وعمّا قريب

يخسر المبطلون.

وفي إسبانيا مهرجان سنوي تنطلق فيه الثيران المعدّة للمصارعة من مأواها إلى الملعب الذي يجري فيه السباق، وتخترق شوارع المدينة تعدو بسرعة ويركض بين أيديها وحولها الآلاف من الناس يضربونها وهي ترفسهم وتدوسهم بأرجلها وتمزّقهم بقرونها إلا من يستطيع الهرب والإفلات من بين أيديها، وتصبح شوارع المدينة ساحة حرب وقتال، أية همجية أوضح من هذه؟!

وفي اليابان سباق توضع فيه المئات بل الآلاف من شطائر الطعام على الموائد ويتبارى المتسابقون في ازدراد أكبر عدد ممكن فكانت بطن الفائز قد حصدت (٦٤) شطيرة، فهل هذه الحيوانية من الحضارة؟.

هذا غير ما يفعلون في ملاعب الكرة من جنون وألعاب نارية ومشاجرات لا تستطيع حتى الشرطة فضها وتزهق فيها النفوس وتتلف فيها الأموال، وألعاب أخرى

يبتكرونها لا تجد نَظيرها إلا في شريعة الغاب، أفبعد كلّ هذا يأتي هـؤلاء الصـنائع للغـرب ويتهكمون بشعائر الإسلام؟ لا لشيء إلا تنفيذ رغبات أسيادهم، فيصوّرون لنا بشاعة وهمجية الشعائر الحسينية حتى إذا تركناها شنّعوا علـى مناسك الحج، وهكذا يسلخوننا مـن إسـلامنا شيئاً فشيئاً، يريدون منّـا أن نأخـذ ديننـا مـن الأعداء فنفعل ما يريدون هم، ومـاذا يريـدون هم؟ قال تعالى: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَـاءَكَ مِنَ الْعِلْـمِ مَـا لَـكَ مِـنَ اللَّـهِ مِـنْ وَلِـيٍّ وَلا نَصِيرٍ﴾(البقرة:١٢٠)، وقال تعـالى: ﴿وَدَّ كَثِيـرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَـانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَـيَّنَ لَهُمُ الْحَقّ﴾(البقرة: ١٠٩).

وقبـل أيـام سـمعتم بـذلك الكاتـب المصري وزوجته الـدكتورة الـذين يحمـلان الجنسية الأمريكية وقد استهزأ بمناسك الحـج

من على صفحات الجرائد، ولما حكم عليه بالسجن قامت قيامة منظمات ما يسمى بحقوق الإنسان للدفاع عنه، فاعتبروا يا أولي الألباب، وافهموا ماذا يراد بكم ومنكم.

خاتمة:

وفي الختام أقول: ليعلم المسلمون أنّ المسيح عيسى عليه السلام هو نبيّنا قبل أن يكون نبي هؤلاء الذين ينتسبون إليه، وهو منهم ومن أفعالهم براء؛ فإن المسيح عليه السلام ما عُرِف ولا كُرِّم ولا أعطي المقام الرفيع الذي يستحقه إلا في القرآن الكريم والأحاديث الشريفة عن المعصومين عليهم السلام، أما هؤلاء (المسيحيون) بالاسم فقط فقد خالفوه في كلّ شيء، وهو أوّل خصم لهم يوم القيامة حين يجتمع معهم للحساب فيخاطبهم الله تبارك وتعالى بمحضر منهم: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا

لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلاّمُ الْغُيُوبِ، مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (المائدة:١١٦-١١٧)، فأين هؤلاء من أخلاقه وتعاليمه عليه السلام؟!!!.

والحمد لله رب العالمين وصلّى الله تعالى على محمد وآله الطاهرين

الفصل الثاني

يوم عرفة .... اليوم العالمي للتوبة

يوم عرفة
اليوم العالمي للتوبة[1]

توجد سيرة لدى المجتمع الدولي وهي جعل يوم عالمي لبعض القضايا التي تهم البشرية يكون محطة سنوية للمراجعة و التقييم لما بُذِلت من جهود ايجابية إزاء تلك القضايا ودراسة المعوقات وتشخيص المعالجات وإلفات نظر العالم إلى تلك القضايا ، فجعلوا يوماً عالمياً لمكافحة الإيدز ويوماً للعمال وآخر للمرأة وآخر لمكافحة التدخين وآخر

(١) صدر هذا الخطاب يوم ٢٨/ ذ.ق / ١٤٢٧ المصادف ٢٠ /١٢/ ٢٠٠٦ والحجيج يجتمعون بمكة استعداداً لأداء فريضة الحج المباركة ووُزّع الخطاب على الحجاج من الدول المختلفة ولاقت الفكرة استحساناً وقبولاً وأصبحت سُنة بفضل الله تعالى. وقد ترجمَ البيان هذا العام إلى لغات عديدة (الفارسية، الإنجليزية، الأوردية، الفرنسية، الألمانية) ليوصل الفكرة إلى أكبر عدد ممكن.

للبيئة وهكذا.

وهذه آلية حسنة للمساهمة والتقدم في تخليص البشرية من المشاكل التي تعانيها وتفتك في كيانها، مع توفر إخلاص النية والسعي الجدي للمعالجة؛ و لكن العالم وانطلاقاً من أحادية النظرة عنده حيث يرى بعين المادة و الظاهر، فانه لا يرى الجانب الآخر وهي الحياة المعنوية لذا فانه لم يخصص يوماً لاكتساب المعنويات وتخليص البشرية من أمراضها الأخلاقية و أدرانها القلبية.

وها هم يعترفون في اليوم العالمي لمكافحة الإيدز إنهم ليس فقط فشلوا في القضاء عليه وإنما فشلوا حتى في الحد منه ومنعه من التوسع والانتشار حيث تجاوز ضحاياه (٢٠) مليوناً، وتوصلوا إلى أن العلاج يكمن في تربية الإنسان على القيم الروحية وتقوية الرادع الديني و تعزيز الإيمان بالله تبارك وتعالى.

فلماذا إذن لا يخصصون يوماً عالمياً أسوة ببقية القضايا للتذكير بهذه القيم وتعريف الناس بها وإطلاعهم على ما تفعله هذه الجرعات الروحية من تأثير فاعل في القضاء على الأسباب الحقيقية الكامنة في النفس الإنسانية والتي تدفعه إلى الوقوع في تلك الرذائل ومن ثم تعجز كل الوسائل عن معالجتها. إنها إتباع الشهوات والانسياق وراء الغرائز من دون تهذيب وسيطرة وتقنين وضبط.

فهذه القضية ـــ أي الارتقاء بالحالة المعنوية ـ أهم تلك القضايا وهي الأصل فيها؛ ففيها تكمن المشكلة ومنها ينطلق الحل.

وقد حث قادة الإسلام على أن يحاسب الإنسان نفسه كل ليلة حتى ورد في بعض أحاديث المعصومين عليهم السلام (ليس منّا من لم يحاسب نفسه كل ليلة) ولو التزم الناس بهذا لتمكنوا من تقليل ظلمهم و انحرافهم كثيراً، وعلى أي حال فلما لم يلتزموا بذلك فلنجعل

المراجعة والتقييم ومحاسبة ألذات في السنة مرة على الأقل، أي بجعل يوم عالمي للتوبة والعودة إلى الله تبارك وتعالى ومحاسبة النفس ـ أي نفس ـ سواء كانت أفراداً أو مؤسسات أو جهات فهي أيضاً مطالبة بالمراجعة والمحاسبة والتأكد من سلامة الهدف والمسيرة نحوه.

وليكن ذلك اليوم هو يوم عرفة التاسع من ذي الحجة فهو اليوم الذي تحتشد فيه ملايين الناس على صعيد واحد من مختلف بلدان العالم لا فرق فيهم بين رئيس ومرؤوس أو غني و فقير أو اسود أو ابيض أو شرقي أو غربي فالكل سواسية متجهون إلى ربهم الواحد يتضرعون ويجأرون إليه بشتى الألسنة وصنوف اللغات معلنين أمامه التوبة و طالبين منه الصفح عما مضى وأن يفتح لهم صحيفة بيضاء جديدة ويعينهم على ملئها بإعمال الخير والإحسان.

ويحتشد جمٌّ غفير ممن لم يتيسّر لهم

الحج إلى بيت الله الحرام يجتمعون عند أبي عبد الله الحسين عليه السلام ويتشرفون بلثم تربته المباركة لما في زيارته عليه السلام في يوم عرفة من الفضل والمنزلة الرفيعة حتى ورد أن الله تعالى يلتفت إلى زوار أبي عبد الله الحسين عليه السلام قبل أن ينظر إلى حجاج بيته المحرم.

ويشير الإمام الحسين عليه السلام إلى (عالمية) هذا اليوم في دعائه المبارك ليوم عرفة ومما جاء فيه (فإليك عجّت الأصوات بصنوف اللغات) فهو يوم عام لكل أصناف البشر لكي يتوبوا إلى الله تبارك وتعالى ويعودوا إليه والله غني عنهم وإنما ينفعون أنفسهم بهذه العودة ويخلّصوا أنفسهم من الشقاء والنكد وضيق المعيشة التي يعيشونها بسبب ابتعادهم عن الله تبارك وتعالى ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى﴾(طه: ١٢٤-١٢٦).

على جميع البشرية إذا أرادت الخير لنفسها أن توحّد صوتها مع أصوات الملايين عند جبل الرحمة في عرفات فقد جاء في الأحاديث الشريفة إن دعاء الواقفين في الموسم مستجاب. روي عن الإمام الباقر عليه السلام (ما يقف على تلك الجبال برٌّ ولا فاجر إلا استجاب الله له، فأما البّر فيستجاب له في آخرته ودنياه وأما الفاجر فيستجاب له في دنياه) فإذا ضممنا دعواتنا واستغاثتنا وطلباتنا إلى تلك الدعوات فإن الله تبارك وتعالى سيقبلها صفقة واحدة وحاشا لكرمه أن يبعّض الصفقة فيقبل بعضها ويردّ بعضاً.

إن شعوب العالم كلها بحاجة إلى الرجوع إلى هذا الركن الذي تتوحد عليه جميعاً وهو الله تبارك وتعالى لأنه خالقها وستجد عنده الرحمة و الحب والسمو والعفو والصفح وستترفع حينئذٍ عن أهوائها المقيتة وأنانياتها الضيقة التي تتصارع وتتزاحم فتسبب للبشرية هذا العناء و الشقاء وليعبّر كل

فرد أو جماعة عن هذه الحالة بطريقته الخاصة ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾(سبأ:٤٦)، ﴿فَلَوْلاَ كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الخِزْيِ فِي الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ﴾(يونس:٩٨).

أما نحن أتباع أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله فلنا من البرامج ما يكفينا فعندنا دعاء الإمام الحسين عليه السلام ليوم عرفة الموجود في كتاب (مفاتيح الجنان) و (مصابيح الجنان) وأمثالهما ودعاء الإمام السجاد عليه السلام ليوم عرفة ودعاؤه عليه السلام لطلب التوبة ودعاؤه لطلب مكارم الأخلاق الموجودة في الصحيفة السجادية.

إن العرفاء الشامخين يدينون بالمعرفة لدعاء الإمام الحسين عليه السلام وكيف لا يكون كذلك وهو من إنشاء سيد العارفين وابن سيد العارفين وقد وصف بعض أصحابه هيئته الشريفة حين خرج للدعاء (كنّا مع الحسين بن علي عليه السلام عشية عرفة فخرج عليه السلام من

فسطاطه متذللاً خاشعاً فجعل يمشي هوناً هوناً حتى وقف هو وجماعة من أهل بيته وولده ومواليه في ميسرة الجبل مستقبل القبلة. ثم رفع يديه تلقاء وجهه كاستطعام المسكين) ثم أخذ ينشئ الحمد لله تبارك وتعالى ويثني عليه إلى أن قال عليه السلام (اللهم اجعلني أخشاك كأني أراك، وأسعدني بتقواك، ولا تُشقني بمعصيتك، وخِرْ لي في قضائك، وبارك لي في قدرك، حتى لا أُحِبَّ تعجيل ما أخّرت، ولا تأخير ما عجّلت).

ولقد وجدت بعض الناس عصر يوم عرفة في الصحن الحسيني الشريف في كربلاء المقدسة بعد أن أدّى مناسك الزيارة المخصوصة لذلك اليوم وهو يكرّر هذا المقطع وقد أجهش بالبكاء و ابتلّت لحيته بدموع عينيه.

ومما ورد في ذلك الدعاء قوله عليه السلام: (اللهم اجعلنا في هذا الوقت ممن سألك فأعطيته، وشكرك فزدته، وتاب إليك فقبلته،

وتنصل إليك من ذنوبه كلها فغفرتها له، يا ذا الجلال والإكرام) ويخاطب ربّه (كيف يُستدَلُّ عليك بما هو في وجوده مفتقرٌ إليك؟ أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المُظهرَ لك؟ متى غبتَ حتى تحتاجَ إلى دليلٍ يدِلُّ عليك؟ ومتى بعُدتَ حتى تكون الآثارُ هي التي توصِلُ إليك؟ عَمِيت عينٌ لا تراك عليها رقيبا، وخسرت صفقةُ عبدٍ لم تجعل له من حبِّك نصيبا).

فلنتوجه إلى الله تبارك وتعالى بها بتأملٍ وإمعان فرادى وجماعات في المساجد والبيوت ومن على المآذن بمكبرات الصوت من المساجد ومن ليس قريباً للمسجد فلينصب مكبرة الصوت على سطح داره ويحيي هذه المناسبة الشريفة، لينظر الله تبارك وتعالى إلى جميع أصقاع الأرض تتعالى منها أصوات الحاجة و الافتقار إلى مزيد من رحمته ولطفه حتى ينقذ البشرية من جهلها وأنانيتها وضلالها وتخبّطها وعتوّها فيستغفر

الإنسان عما مضى ويندم عليه ويعقد العزم على عدم تكراره ويسعى لتلافي كل الأخطاء والآثام التي ارتكبها بحق غيره ويزيد من الأعمال الصالحة التي تعيد التوازن وتصلح الخلل الذي أحدثته الأعمال السيئة، وهذا هو المضمون الحقيقي للتوبة الذي تعلّمناه من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام.

ففي كتاب (نهج البلاغة) أن شخصاً قال بحضرته عليه السلام (أستغفر الله) فقال عليه السلام: (ثكلتك أمك، أتدري ما الاستغفار؟ الاستغفار درجة العلِّيِّين، وهو اسم واقع على ستة معان: أولهُّا الندمُ على ما مضى، والثاني العزم على ترك العود إليه أبدا، و الثالث: أن تؤدي إلى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله أملس ليس عليك تبعة، والرابع أن تعمد إلى كل فريضة ضيّعتها فتؤدي حقَّها، والخامس أن تعمد إلى اللحم الذي نبتَ على السحت فتذيبه بالأحزان حتى تُلصِق الجلد بالعظم ، وينشأ بينهما لحم جديد، و السادس أن تذيق الجسم ألم الطاعة

كما أذقته حلاوة المعصية فعند ذلك تقول (استغفر الله)).

إن اجتماع الناس في كل بلاد الدنيا للدعاء والتوبة في يوم عرفة وعدم اختصاص الأمر بمن وُجدوا على صعيد عرفة، مما حَثَ عليه الشارع المقدّس وليس شيئاً نبتدعه نحن فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام انه قال (في يوم عرفة يجتمعون الناس بغير إمام في الأمصار يدعون الله عز وجل).

واجتهدوا في الدعاء لإخوانكم المنكوبين و المحرومين والمستضعفين والمحتاجين فقد روى أحد أصحاب الأئمة عليهم السلام قال: (رأيت عبد الله بن جندب بالموقف فلم أرَ موقفاً كان أحسن من موقفه ، وما زال ماداً يده إلى السماء ودموعه تسيل على خدّيه حتى تبلغ الأرض، فلما انصرف الناس قلت يا أبا محمد ما رأيت موقفاً قط أحسن من موقفك قال: والله ما دعوت إلا لإخواني، وذلك لأن أبا الحسن موسى بن

جعفر عليه السلام أخبرني أنه من دعا لأخيه بظهر الغيب نودي من العرش: ولك مئة ألف ضعف مثله، فكرهت أن أدع مئة ألف ضعف مضمونة لواحدة لا أدري تستجاب أم لا).

إن يوم عرفة يسبق يوم العيد و العيد معنى مأخوذ من العود حيث يمثل مناسبة لعودة الإنسان إلى ربه الكريم، وعودة الرب الكريم على العبد بمزيد من الخير والرحمة والعطاء الإلهي الذي لا ينفد، ومثل هذه المبادلة العظيمة بين الرب والعبد لا بد أن يسبقها تهيئة المقدمات لاستقبالها، كما أن من أراد زراعة أرضٍ فلا بد له أولاً من تنقيتها من الأدغال وتنظيفها من الأوساخ ومن ثم غرس النبات الطيب فيها، وهكذا قلب الإنسان ونفسه لابد من تطهيرها وتنقيتها من الرذائل والانغماس غير المشروع في الشهوات وإعلان الاستغفار والتوبة بالمعاني المتقدمة في يوم عرفة لتكون محلاً صالحاً يوم عيد الأضحى لتلقي النفحات الإلهية.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اسْتَجِيبُواْ لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُم لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (الأنفال:٢٤)، ﴿قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىَ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنْهُ رِزْقاً حَسَناً وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾(هود:٨٨).

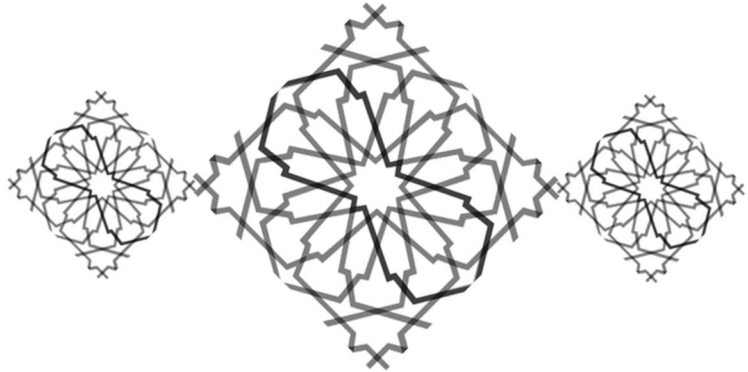

الفصل الثالث
يوم النزاهة والنظام الأمثل

يوم
النزاهة والعدالة والنظام

يمكن أن نسمي هذا الأسبوع (بين الثامن عشر من ذي الحجة والخامس والعشرين منه) بأسبوع أمير المؤمنين عليه السلام وإن كانت الأيام كلها تشهد لأمير المؤمنين عليه السلام بالمناقب والفضائل، حتى أحدهم سُئل عن فضل أمير المؤمنين عليه السلام قال: ما أقول في رجل كانت له في ليلة واحدة ثلاثة آلاف منقبة، قيل له وكيف كان ذلك قال: أليس أن سلام الملائكة على الإنسان منقبة، وقد روينا أنه في ليلة معركة بدر حينما أرسل النبي صلى الله عليه وآله عليا عليه السلام ليجلب الماء من آبار بدر التي سيطر عليها المشركون وفي طريق عودته كانت تأتي ريح عاصف تأخذ القربة من يده وتريق ماءها على الأرض وتكرّرت الحادثة ثلاث مرات وفي الرابعة أوصل الماء

إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وأصحابه وسأل النبي صلى الله عليه وآله عن سبب تأخره (وكم سائلٍ عن أمره وهو يعلمُ) وشرح له الحال قال صلى الله عليه وآله والصحابة يسمعون: اعلم يا علي أن الريح الأولى كان فيها جبرئيل وألف من الملائكة نزلوا للسلام عليك وكان في الثانية والثالثة ألفان آخران مع ميكائيل وإسرافيل.

لكن العادة جرت بتحديد أيام للاحتفال بعظماء الأمم والقضايا المؤثرة في مسيرة حضارتها. وقد شهد هذا الأسبوع كما هو معلوم بيعة الغدير وتنصيب أمير المؤمنين صلى الله عليه وآله ولياً وهادياً وإماماً للأمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وفي الرابع والعشرين والخامس والعشرين منه تصدّق أمير المؤمنين بالخاتم و باهَلَ النبي صلى الله عليه وآله به وبزوجه الصديقة الطاهرة الزهراء وولديه الحسنين (سلام الله عليهم أجمعين) نصارى نجران ونزلت سورة (هل أتى) أو (الدهر) أو (الإنسان) في حقّهم.

وسائلٍ هل أتى نصٌ بحق عليٍ

أجبته (هل أتى) نص بحق علي

وتوجد مناسبة أخرى قلَّ من يلتفت إليها وهي مناسبة إعادة حقه في الخلافة الظاهرية ـ كما يعبّرون ـ وبيعة الناس له بإجماعٍ لم يكن له نظير، قال ابن الأثير في تاريخه (الكامل): قتل الخليفة عثمان يوم الجمعة الثامن عشر من ذي الحجة وبويع لعلي عليه السلام يوم الجمعة الخامس والعشرين سنة ٣٥ للهجرة، ويوم تسلّم أمير المؤمنين عليه السلام الحكم هو بحق يوم العدالة والنزاهة والمبادئ والفضائل ونظام الحكم الأمثل وإقامة دولة الحق والعدل لو وجد من استثمر تلك النعمة وحافظ عليها وعمل على إدامتها وصيانتها، وكان من كلماته عليه السلام لمّا بويع بالخلافة معلناً إعادة الأموال العامة والعقارات والأراضي الزراعية التي أقطعها عثمان لحاشيته ومستشاريه وأقربائه (ألا إن كل قطيعة أقطعها عثمان، وكل مالٍ أعطاه من مال الله فهو مردود

في بيت المال، فإن الحق القديم لا يبطله شيء، والله لو وجدته قد تزوج به النساء، وملك به الإماء، لرددتُه، فإن في العدل سعة، ومن ضاق عليه العدل، فالجور عليه أضيق)[1]

وقال عليه السلام في تفسير تصدّيه لإدارة شؤون الأمة (اللهم إنك تعلم أنه لم يكن الذي كان منّا منافسة في سلطان، ولا التماسَ شيءٍ من فضول الحطام، ولكن لنردَّ المعالم من دينك، ونظهر الإصلاح في بلادك، فيأمَنُ المظلومون من عبادك، وتقام المعطّلة من حدودك)[2]

فإذا وجد يوم أو أسبوع يستحق أن تحتفل به الإنسانية يوماً للعدالة والنزاهة والشفافية مع الأمة وإعادة الحق إلى نصابه فهو يوم الخامس والعشرون من ذي الحجة الذي يُتوّج أسبوع أمير المؤمنين عليه السلام.

---

(١) نهج البلاغة،ج١، الخطبة ١٥، وذكرت بقية الخطبة من مصادرها الأصلية في كتاب (مصادر نهج البلاغة وأسانيده) :٣٥٠/١

(٢) نهج البلاغة، ج١، الخطبة ١٣١

الفصل الرابع
مع اليوم العالمي للتدخين

أما آن وقت ترك التدخين[1]

الحمدُ لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا أبي القاسم محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين.

توجد حقيقة اجتماعية مؤسفة في حياة البشر، وهي أنّه كلّما أنقذهم الله تعالى من بلاء معنوي أو مادي أعادوا أنفسهم إلى مثله أو أسوأ منه ولذا ورد في أدعية التوسل إلى الله تعالى بعدم الوقوع في مثل هذه الحالة (اللهم لا تنزع عنّا صالحاً ولا تردَّنا في سوء استنقذتنا منه أبداً).

فمن المعنويات نذكر مثالاً وهو أن الناس كانوا يعيشون جاهليةً مليئة بالظلم

(١) كلمة ألقاها سماحة الشيخ اليعقوبي (دام ظله) في مجلسه العام يوم الخميس ٢٠١٢/٥/٣١ المصادف ٩/رجب/١٤٣٣ بمناسبة اليوم العالمي لمكافحة التدخين.

والفساد والقتل والانحطاط فأنقذهم الله تعالى بالإسلام وبرسول الله صلى الله عليه وآله لكنّهم ما لبثوا أن انقلبوا على الأعقاب بعد وفاته صلى الله عليه وآله ثم عادوا إلى جاهليتهم الأولى.

والشواهد كثيرة، وهذه القضية تحتاج إلى بحث وتحليل عقائدي اجتماعي سايكولوجي مفصّل، لكنّني وبمناسبة اليوم العالمي لمكافحة التدخين أريد أن أدخل من هذه المقدمة إلى قضية مكافحة التدخين، فقد كانت البشرية تعاني في العصور السالفة من أمراض فتّاكة كانت تودي بحياة الآلاف وتقف عاجزة أمامها، وقد أنقذ الله تعالى البشرية اليوم منها بفضل التقدّم العلمي بالطب والعلاج، لكنّهم ابتدعوا التدخين حيث تقول منظمة الصحة العالمية: إن عدد الذين يلاقون حتفهم بسبب استعمال التبغ بأشكاله يفوق بلا ريب ولا أدنى شك عدد الذين يموتون نتيجة للإصابة بأمراض الطاعون والكوليرة والتيفوس والتيفوئيد والسل والجدري والجذام مجتمعة

كلها في كل عام.

أترى كيف عاد الإنسان ليقضي على نفسه ويوجد بديلاً فتّاكاً بعد أن نجّاهُ الله تعالى من تلك الأمراض الفتّاكة، وتقول التقارير أنّ ثلاثة من كل عشرة يدخنون سيلاقون حتفهم بسبب أمراض ناتجة عن التدخين وان أغلب الباقين سيعانون من أمراض لها علاقة بالتدخين، وجاء فيها: إنّ كمية النيكوتين الموجودة في سيجارة واحدة كفيلة بقتل إنسان في أوج صحّته لو تمّ حقنه بالوريد.

وفي تقرير هذا العام لمنظمة الصحة العالمية (WHO) إن حوالي (٦) ملايين شخص يلقون حتفهم سنوياً بسبب استهلاك التبغ الذي تدخل في مكوناته أكثر من ٤٠٠٠ مادة كيميائية، وما يفوق الـ٦٠ منها يعتبر مواداً سامة.

وقد تم مؤخراً طرح السيجارة الالكترونية في الأسواق كبديل لمنتجات

التبغ، والتي تندرج تحت ما يسمى بالنظام الإلكتروني البديل لتوصيل النيكوتين حيث يتم تسويقها كوسيلة مساعدة للإقلاع عن التدخين، إلاّ أنها على العكس تماماً تعمل على عرقلة عملية الإقلاع عن التدخين، وتفتح المجال للإدمان عليها حيث توفر جرعات مستنشقة من النيكوتين.

إن ضرر التدخين لا يختص بالرئتين والجهاز التنفسي ولا بالقلب فقط بل يمتد إلى الكليتين وأعضاء الجسم الأخرى حتى النشاط الجنسي حيث يصاب بالعنّة لتلف بعض الشرايين والأوردة.

ولا يقتصر ضرر المدخن على نفسه بل على من حوله، خصوصاً الأطفال، إذ يقول الخبراء أنّ كل طفلٍ يدخّن أحد والديه في المنزل ما بين عشرة إلى عشرين سيجارة يومياً يكون هذا الطفل قد دخّن ربع هذا العدد، وإنّ تدخين الوالدين يساعد على إصابة الأطفال بأمراض عديدة وأوضحها الأمراض التنفسية

خاصة الربو، وأمراض أخرى قد لا يبدو لها ارتباط بالتدخين كالصمم حيث تقول الإحصائيات أن ثلث حالات الصمم في الأطفال ترجع إلى تدخين الوالدين أو أحدهما ويشرح المختصون كيفية حصول هذا التأثير.

ولا نحتاج أن نطيل في ذكر أضرار التدخين على صحة الفرد والمجتمع فالإعلانات عنها كثيرة ومنتشرة وقد كُتب على كل علبة سيكائر أن التدخين سبب رئيسي لسرطان الرئة والأمراض التنفسية وتصلب الشرايين المؤدي إلى الجلطة والذبحة الصدرية وسرطان الفم والحنجرة وغيرها وحتى الأجنّة في بطون الأمّهات.

وإذا انتقلنا إلى الأضرار الأخرى كهدر الأموال الضخمة على نفس العملية أو تداعياتها كتلوث البيئة أو نفقات العلاج من آثارها والإدمان عليها أو المشاكل الناتجة بسببها، أو تكاليف تصنيعها وغيرها كثير فإنّنا

سنقف أمام أرقام المليارات.

وللتدخين أضرار اجتماعية حيث ينظر كثيرون إلى هذه الحالة باشمئزاز وينفرون من صاحبها، وقد سمعنا كثيرين ممن يريد الزواج أنّه يشترط على الطرف الآخر أن لا يكون مدخناً.

ولا نغفل عن النقص الأخلاقي، لأنّ التدخين يوجب الاعتياد والإدمان، والخضوع للعادة والاستجابة لمتطلباتها منقصة أخلاقية؛ خصوصاً إذا تحوّلت إلى قوة ضاغطة لا يستطيع أن يتحرر منها، وقد ذكرنا في حديث سابق شرحنا فيه قول الإمام الحسن العسكري عليه السلام: (ما أقبح المؤمن أن تكون له رغبة تذله) قضية واقعية كانت فيها عادة التدخين سبباً لإعدام واعتقال العشرات من المؤمنين.

وبعد كل هذا يحق لنا أن نسأل المدخنين (حتى متى التدخين)[1] ، ونتساءل باستغراب وشفقة (ألم يأنِ للذين يدخنون أن يقتنعوا بأن التدخين عادة ضارّة يجب الإقلاع عنها)، على صيغة الآية الشريفة مع الفارق في المورد ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ (الحديد/١٦).

وقد تسأل هنا: إذا كان الأمر كذلك فلماذا لا يكون هناك تحريم صريح وواضح للفقهاء (أعلى الله مقامهم)؟!

وأقول في الجواب: إنّ الفقهاء يتبعون الدليل الشرعي ويفتون بمقتضاه ويستعملون صيَغه وتعابيره، وبيان الشرع المقدس لحكم قضية معيّنة قد يكون نصاً واضحاً وصريحاً

(١) عنوان كتيب صدر بإشراف ومراجعة سماحة الشيخ (دام ظله) أيام النظام المقبور ضمن سلسلة (نحو مجتمع نظيف).

كقوله (الصلاة واجبة) و(صوم شهر رمضان واجب) و(الخمر حرام) و(الزنا حرام)، وقد لا يكون كذلك وإنّما يذكر الحكم لعناوين عامّة، ويجري هذا الحكم على كل ما انطبق عليه هذا العنوان، وهذه من صيغ خلود الشريعة الإسلامية، لأنّ كثيراً من الأمور لم تكن موجودة في عصر صدور النصوص الشرعية فكيف يذكر أحكامها؟ مثلاً بعض أنواع المسكرات الموجودة اليوم لم تكن معروفة يومئذٍ، لكن ورد نص عام (كل مُسكر حرام) وهذا يكفي لتطبيقها على هذا النوع من المسكر ونفتي بحرمته.

وهناك صيغة أخرى لبيان الحكم من خلال ذكر أسباب الحكم وعلله فمتى وُجدت هذه العلة في الشيء اكتسب ذلك الحكم، كما لو قال أنّ كل شيء يضر البدن بشكل لا يقبله العقلاء فهو حرام، فمتى ما توفّر هذا الملاك ـ على تعبيرهم ـ كان الشيء حراماً.

فحكم التدخين وإن لم يرد بالشكل الأول لعدم وجود موضوعه في زمان صدور النصوص، إلاّ أنّه قد يدخل في بعض العناوين الأخرى، فقد أعطينا فكرة عن:

١. ضرره على المدخّن نفسه من جهات عديدة، وقد عرفنا ان ضرره أكثر من كثير من الأمراض الفتّاكة حتى الايدز، ففي الإحصائيات الدولية أنّ الذين ماتوا بمرض الايدز منذ ظهوره عام ١٩٨١ إلى عام ١٩٩٢ أي في أكثر من عشر سنوات أقل من الذين يموتون بسبب استعمال التبغ في سنة واحدة.

٢. ضرره على الآخرين وهو محرّم.

٣. تبذير الأموال، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُواْ إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ (الإسراء/٢٧)، والإسراف في إنفاقها بغير وجهٍ معقول، والله تعالى ﴿لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ (الأنعام/١٤١).

فالفقهاء إذن يضعون هذه الحقائق أمام الإنسان ويوكلون التطبيق إليه في هذا المورد

وفي كل قضية لم ترد بعنوانها الخاص في النصوص الشرعية، خصوصاً وان الناس يختلفون فيما بينهم في قابلياتهم وأحوالهم.

إنّ وعي هذه المشكلة والالتفات ببصيرة ومعرفة إلى آثارها هي المرحلة الأولى في طريق المكافحة والعلاج وهذه المرحلة مسؤولية كل صنّاع الرأي العام والثقافة المجتمعية كعلماء الدين والخطباء والمُفكّرين والمؤسسات الصحيّة والإعلامية وبمختلف الوسائل المتاحة والمؤثرة.

ولكي يتحرر المدخن من أسر هذه العادة الضارة يحتاج إلى إرادة قوية وعزم وتصميم فيتخذ قرار الإقلاع عنها ولا يتردد ولا يقع تحت تأثير المشكّكين والمثبطين، وحينئذٍ سيجد لذة الانتصار مضافاً إلى ما سيشعر به من تحسّن في صحته وتذوقه لطعم الحياة.

ولا مانع لمن يجد صعوبة أو مانعاً من الامتناع الكلّي أن يتدرّج في التقليل حتّى

يتحقق الامتناع الكلّي،وعلى من حوله أن يشجعوه ويؤازروه على نفسه.

ونحن مقبلون على شهر رمضان المبارك فليغتنم المدخنون فرصة الامتناع عن التدخين في نهار كل أيام الشهر أثناء الصوم ليستمدوا منها القوة والعزم لتركه نهائياً، فإنّ علة تشريع الصيام تحصيل التقوى، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة/١٨٣).

والتقوى هي صفة القابلية على الامتناع عن ممارسة الخطأ والوقوع فيه.

وهنا يأتي أيضاً دور المؤسسات والجهات النافذة باتخاذ التشريعات الكفيلة لتضييق الدائرة على هذه الظاهرة، كإصدار المرجعيات الدينية فتوى بمنع التدخين في المساجد والحسينيات والعتبات المقدسة والتجمعات العامة لما فيه من إضرار بالآخرين ومضايقة لهم وهذا غير جائز.

وقد استجاب البرلمان قبل عطلته الفصلية هذه وقرر المنع من التدخين في مؤسسات الدولة وسيارات النقل العام ونحوها.

الشريعة والتدخين[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله كما هو أهله وصلى الله على خير خلقه محمد وآله الطاهرين.

إنه لمن الأعراف الإنسانية النبيلة تعيين يوم عالمي لقضايا البشرية المهمة يجتمع فيه المسؤولون وصنّاع القرار وأهل الحل والعقد لمناقشة تلك القضايا. فللعمال يوم، وللمرأة

---

(١) الكلمة التي أعدها سماحة آية الله الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) وألقاها ممثله في الندوة التي أقامتها مديرية صحة النجف على قاعة رئاسة جامعة الكوفة يوم ٢٢ /١٤٢٦/٤ المصادف ٣١ /٢٠٠٥/٥ بمناسبة اليوم العالمي لمكافحة التدخين، وقد اختار هذا الموضوع بناءً على رغبة المنظمين للندوة، واتخذها سماحته فرصة لإطلاق فتواه المباركة بحرمة بيع وشراء وتناول السكائر الأمريكية والبريطانية والفرنسية لأنها دول معادية للإسلام والمسلمين وأخذت الفتوى صداها الواسع في الشارع.

يـوم، ولمكافحـة الإيـدز آخـر، ولمكافحـة التدخين يوم، هـو هـذا الـذي نجتمـع فيـه، والموضـوع الـذي نختـاره هـو (الشـريعة والتدخين) حيث يتساءل الكثيرون عن حكـم التدخين في الشريعة ويستغرب الكثيرون مـن عدم اتخاذ الفقهاء موقفـاً حازمـاً ضـد هـذه الظاهرة السيئة.

ولتحديد موقف الشريعة مـن التـدخين نقول:

إن معرفة الحكم الشرعي لأي موضـوع ـ كالتدخين ـ يكون بأحد صيغ ثلاث:

الأولى: أن يرد نص صريح فـي حكـم ذلك الموضوع بعنوانه الخاص كحرمـة الزنـا وحلّية البيع ووجـوب الصـلاة، حيـث وردت نصوص مباشرة فيها.

الثانيـة: أن يـرد نـص بـالحكم علـى الموضوع بعنوانه العام ويكون هذا الموضـوع الخاص أحد مصاديقه وتطبيقاته كحرمـة كـل مسكر مهما قلّ مقداره مادام الكثير منه حرام.

ومنه نعرف حرمة تناول البيرة لانطباق عنوان المسكر عليها رغم عدم وجود نص بعنوانها.

الثالثة: أن يطرأ على الموضوع عنوان ثانوي له حكم معين فيشمل ذلك الموضوع بواسطة طروّ هذا العنوان عليه كالتصرف في مال الغير بدون إذنه فهو محرم لكن إذا توقف إنقاذه من حريق على التصرف في ملكه بدون إذنه فإنه يصبح واجباً لوجوب إنقاذ الإنسان من الهلاك.

وحينما نريد معرفة حكم التدخين في الشريعة فإننا لا نجد حكماً بالصيغة الأولى فينحصر البحث في الصيغتين الأخريين وحينئذٍ سنجد على صعيد الصيغة الثانية الحكم بالحلّية لأن الأصل في الأشياء الإباحة حتى يثبت الحظر والمنع والمفروض عدم ثبوت مثله.

أما على صعيد الصيغة الثالثة فإن هناك عدة عناوين يمكن أن تكون منشأً للمنع

والقول بالحرمة، كالإضرار بالنفس وتلويث البيئة والخسائر الاقتصادية الفادحة، وقد تكفّل كمٌ هائل من الدراسات والإحصائيات بيان حجم هذه الأضرار والخسائر.

وأضيف إليها النقص الأخلاقي على صعيد جهاد النفس الذي سمّاه رسول الله صلى الله عليه وآله الجهاد الأكبر، فإن غاية ما يطمح إليه الأخلاقيون والعرفانيون المشتغلون بتهذيب النفس وتطهير القلب هو تحرير الإنسان من سلطة وطاعة أي شيء سوى الله تعالى والتخلّص من التعلق بأي شيء غيره تبارك وتعالى، فمن هذه الناحية يكون المدخن أسيراً لسيكارته لا يستطيع مقاومة هذه الرغبة الجامحة، وهذا نقص وتعويق في طريق الكمال. وأتذكر أننا حينما سألنا أستاذنا الشهيد الصدر الثاني قدس سره أنك بنعمة الله متخلص من داء التدخين قال قدس سره: أما يكفيني أني عبدٌ للشاي حتى أكون عبداً للسيكارة وكان قدس سره مواظباً على شرب الشاي.

ومحل الشاهد أن هذه المخاطر الصحية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية إذا بلغت درجة تقنع الفقيه بالحرمة فإنه سيحرم التدخين بهذا العنوان الثانوي وإلاّ فلا، ومن هنا اختلفت فتاوى الفقهاء بسبب تفاوت قناعاتهم.

ومما يجدر ذكره أن نتيجة الصيغتين الثانية والثالثة لو تعارضتا فإن المرجح هي الثالثة كما في المقام.

وقد لا تحصل للفقيه القناعة بالتحريم العام للتدخين وإنما يحرّمه في حالات خاصة، كما لو كان الإنسان مصاباً بحالة يضرّه فيها التدخين ضرراً بالغاً ومباشراً فإنه يحرم على هذا الشخص خاصة.

ومن الحالات الخاصة للتحريم ما أفتيتُ به عام ٢٠٠٢ بعد أحداث الحادي عشر من أيلول (سبتمبر) حيث أعلن عدد من قادة الدول الغربية بصراحة وبوضوح الحرب الصليبية على الإسلام فحرّمت التعامل

بالسكاير الأمريكية لأنها من موارد التمويل الضخمة للشركات التي تدعم الجهد المعادي للإسلام وقد استجاب للفتوى عدد كبير من تجّار السكاير بالجملة والمفرد مما أضرّ بهذه الشركات.

وأنقل لكم هذه الفقرة من مذكراتي: (في يوم ١٠ - ٦ - ٢٠٠٢) جاءني إلى مسجد الرأس الشريف المجاور لحرم أمير المؤمنين عليه السلام الذي كنت ألقي فيه محاضراتي العلمية وأدير منه نشاطاتي الفكرية والاجتماعية جاءني ممثّل شركة الخير لإنتاج السكاير ومنها (ميركوري) وأنواع أخرى في الأردن بعد أن طلبت منه شركته باعتباره الجعفري الوحيد في وكلائها حسبما قال للاستفسار من الحوزة العلمية حول صحة صدور فتوى بتحريم السكاير، وقال إن الشركة أبلغته بتكدس آلاف الكارتونات من السكاير ويكلف كل كارتون (٨) دولارات من الرسوم الكمركية، وفهمت منه إمكان

تقديم جزء من هذا المبلغ الكبير مقابل سحب الفتوى، ولما لم يفلح تحوّل إلى التهديد فقال أن مقر فرع الشركة في العراق في تكريت وأن الرسوم تدفع إلى عدي صدام حسين وأصررت على الفتوى وقلت له: أن هذا الموقف متفق عليه لدى العلماء بحرمة تقوية أعداء الإسلام وأثنيت أمامه على طاعة الأمة لفتاوى (الحوزة العلمية الشريفة).

وأكرر الآن ما قلته يومذاك من حرمة التعامل بالسكاير الأمريكية والبريطانية والفرنسية بيعاً وشراءً وتناولاً.

بقي عليّ أن أقدم باختصار بعض الخطوات العملية التي تساعد على ترك التدخين:

١. زيادة العلم والمعرفة بسوء هذه الحالة وأضرارها من جميع الجهات التي أشرنا إليها آنفاً، وأشرفنا على كتاب لبيانها عنوانه (حتى متى التدخين) ضمن سلسلة (نحو مجتمع نظيف) وقد ساهم في إقناع

كثيرين بتركه، وكلما ازداد العلم ازدادت القناعة والاندفاع نحو العمل بمقتضى هذا العلم فإن المعرفة أساس العمل ويكتسب قيمته منها، قال أمير المؤمنين عليه السلام: (أول الدين معرفته) وهذه وظيفة المؤسسات الصحية والفكرية والاجتماعية والبيئية من خلال حملة إعلامية موسعة.

٢. تقوية العزم والإرادة وقهر النفس والانتصار عليها وعدم الانسياق وراء أهوائها إلاّ ما كان صحيحاً ومحقاً، قال تعالى في مدح من يملك زمام نفسه ويحاسبها: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى، فإن الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾، وذمّ من يتبع هواه من دون رويّة وتأمّل في عاقبة الأمور: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾، لذلك كان من أهم الصفات في الأنبياء العظام والرسل الكرام التي أشار إليها

الله تعالى في كتابه العزيز هو العزم وقوة الإرادة فقال عز من قائل فيما أوصى به خاتم الأنبياء والرسل صلى الله عليه وآله: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾.

٣. يروى أن هارون العباسي كان مبتلى بعادة سيئة مدمناً عليها فطلب من مستشاريه إقناعه والتأثير عليه لتركها فحاول هؤلاء بحسب اختصاصاتهم. فالأطباء من الناحية الصحية والتجّار من الناحية الاقتصادية والفقهاء من الناحية الشرعية، فلم يفلحوا ثم التجأ إلى الإمام الكاظم عليه السلام الذي عرف بنور الله تعالى أن مشكلة هارون تكمن في ضعف إرادته لتنفيذ القناعة وليس في أصل الاقتناع فاستثار فيه هذه الهمّة وقال عليه السلام: (أين عزم الملوك)، فتحركت عزيمته واستجمع قوته وترك ما كان مبتلى به.

٤. اتخاذ خطوات عملية تدريجية ـ وأركزّ على التدريجية ـ من خلال سن قوانين ملزمة كالمنع من التدخين في المدن المقدسة

وحافلات النقل العام والدوائر الرسمية أو في أزمنة معينة. والتدريجية في اقتلاع الظواهر السيئة في المجتمع من الدروس المستفادة من سيرة القرآن الكريم في إصلاح البشرية. فمثلاً: بالنسبة للخمر حيث كان من العسير على العرب تحريم الخمر دفعة واحدة لتفشي هذا الداء فيهم بحيث يُشار بالبنان إلى جعفر بن أبي طالب أنه واحد من أربعة حرموا على أنفسهم شرب الخمر في الجاهلية. فتدرج القرآن في بيان الحرمة كما أشرنا إليه في كتاب (شكوى القرآن).

هذا الأسلوب سلكه الشارع المقدس بالنسبة للتدخين حيث منع منه في نهار شهر رمضان، ولاشك أن نجاح الإنسان في ترك التدخين نهاراً كاملاً على مدى شهر كامل يعين المبتلى بالتدخين على تركه وما عليه إلاّ مواصلة هذا الانتصار على نفسه، ويمكن أن يتدرج الإنسان بتحدي نفسه بتقليل التدخين إلى خمس سيكارات في اليوم مثلا ثم إلى

اثنين وهكذا، والتحدي يساعد على تفجير طاقة الصبر والصمود والمقاومة، وسيشعر عند الالتزام بلذة الانتصار ونشوته وهي من أعظم اللذائذ التي يستشعرها الإنسان.

إن هذه الخطوات العملية الثلاث متكاملة مع بعضها فالإعلام المكثف لأخطار التدخين على النفس والمجتمع والبيئة والاقتصاد يؤدي إلى ترسخ القناعة، فإذا انضم إليها العزم والإرادة القوية للترك واتخذت خطوات تدريجية للحدّ من هذه الظاهرة فإن النتيجة ستكون حتماً النجاح في القضاء على هذه الحالة السيئة.

محمد اليعقوبي
النجف الأشرف
٢٢ ربيع الثاني ١٤٢٦ ـ ٣١ آيار ٢٠٠٥

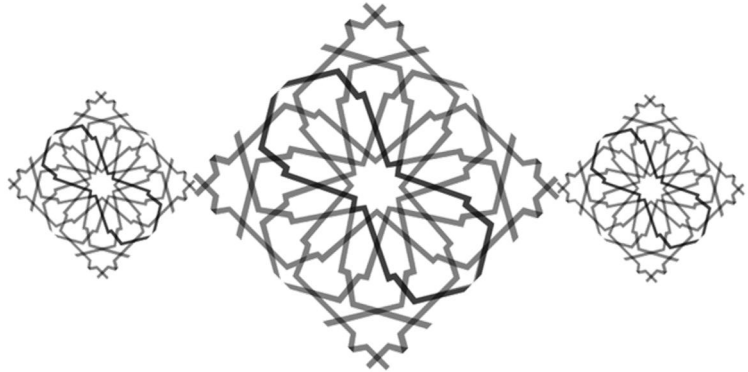

الفصل الخامس
مع اليوم العالمي لمكافحة الأيدز

دروس وعبر
في اليوم العالمي لمكافحة الأيدز [1]

بسم الله الرحمن الرحيم

جعل المجتمع الدولي هذا اليوم ـ الأول من كانون الأول ـ يوماً عالمياً لمكافحة مرض نقص المناعة المكتسبة المعروف اختصاراً بالأيدز، وجعل يوم عالمي لقضايا البشرية المهمة كالمرأة والأم والبيئة والعمال والقدس والتوبة حالة ايجابية في حياة الأمم؛ لأن مثل هذه القضايا تتطلب تخصيص يوم لها في السنة على الأقل يستوقف العلماء والمفكرين والمتخصصين والمسؤولين عن

(١) كلمة ارتجلها سماحة آية الله الشيخ محمد اليعقوبي (دام ظله) في وفد حزب الفضيلة الإسلامي من محافظة ميسان الذي زاره يوم الأول من كانون الأول عام ٢٠٠٤ أعيد تنقيحها وكتابتها، وألقاها سماحته من خلال قناة النعيم الفضائية في نفس المناسبة عام ٢٠١١.

هذه القضية أو تلك لإجراء مراجعة لها، ابتداءً من تشخيص المشكلة وتحليل أسبابها إلى كيفية علاجها والآليات التنفيذية للحل وإجراء التحليلات والإحصائيات والدراسات لكل هذه المراحل.

ومرض الأيدز من المشاكل الكبيرة التي تعاني منها البشرية وتسبب لها التعاسة والشقاء والفناء، فيوجد في العالم اليوم ـ عام ٢٠٠٤ ـ أكثر من (٣٠) مليون إصابة بهذا المرض الذي يفتك بحياة (٨-١٠) آلاف إنسان يومياً أي أكثر من ثلاثة ملايين سنوياً، فهو السبب رقم واحد في قائمة أسباب الموت يتقدم على ضحايا الحروب والمجاعات وحوادث السيارات والطائرات وغيرها، وقد وقفت الدول المتقدمة فضلاً عمن هو دونها عاجزة عن مواجهة هذا المرض واعترفوا بفشلهم في القضاء عليه بل الحد منه.

إننا في هذا اليوم نريد أن نتوقف عند عدة دروس وعبر مستفادة من ابتلاء البشرية بهذا المرض الفتاك:

١. إن الغرب مهما بالغ في تفوقه في العلوم والتكنولوجيا والطب حتى صنع هالة مقدسة حوله ويُسعى لإلزام العالم كله باتباعه، يبقى عاجزاً أمام فايروس لا يرى بالعين المجردة فلا يستطيع القضاء عليه بل ولا الحد من انتشاره، ووَقفَ هذا الفايروس الضئيل كالمارد يحطم جبروتهم وطغيانهم مصدقاً قوله تعالى ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (العنكبوت:٤١) وقوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ (الحج:٧٣) فلا ينبغي للمؤمنين أن يغتروا بهم ولا أن يتخذوهم

أولياء أو يذوبوا في حضارتهم الزائفة.

٢. إن السنن الإلهية جارية في هؤلاء الأقوام الذين استكبروا عن المنهج الإلهي القويم وعصوا شريعة الله تبارك وتعالى، فلا بد أن يتعرضوا لما جرى على الأمم السابقة لهم وقد مرت بهم مرحلتان[1] وهما:

الأولى: مرحلة الأخذ بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون ويعودون إلى الله تبارك وتعالى، وقد مروا بويلات وكوارث أحدها الحرب العالمية الثانية التي قتلت (٤١) مليوناً من البشر من الحلفاء غير دول المحور. فإذا لم ينفع البلاء في استغفارهم وتوبتهم.

جاءت الثانية وهي مرحلة الاستدراج وإغداق النعم والإغراق في الترف واللهو والملذات التي تسبب الغفلة وقسوة القلوب، وقد وصف الله تبارك وتعالى هذه الحالة

(١) راجع بحث (الجاهلية الحديثة وأسلوب مواجهتها)، وقد مر في الجزء الأول من هذا الكتاب.

عندهم بقوله ﴿حَتَّى عَفَوا﴾ أي تعافوا وأصبحوا في سعة من الحال وعافية وهي المرحلة التي عاشها الغرب خلال العقود الماضية فراحوا يتفننون في اختراع المتع والملاهي والملذات، ويعقدون المباريات والمهرجانات والاحتفالات الصاخبة لها، وقبل أن يملوا حالة اوجدوا غيرها وامتلأت جيوبهم وبطونهم من خيرات الأرض حتى راحوا يحرقون الفواكه ويرمون اللحوم في البحر ليحافظوا على أسعار السوق في حين يتضور ملايين البشر جوعاً حتى الموت.

وحينئذٍ تأتي مرحلة الأخذ والفناء والقضاء عليهم وها هو ذا مرض الأيدز احد النذر لفنائهم. وتتوالى عليهم الأزمات الخانقة[1] التي تهدد أسس حضارتهم وتنسف

(١) وآخرها ـ اليوم عام ٢٠١١ ـ الأزمة المالية التي أنهكتهم ودفعت شعوبهم إلى التظاهر والاحتجاج والمطالبة بنظام اقتصادي جديد للعالم وخرج

أبنيتهم من القواعد.

وقد وردت الإشارة إلى هذه السنن في مواضع عديدة من القرآن الكريم ومنها قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِيٍّ إِلا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ، ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ آبَاءَنَا الضَّرَّاءُ وَالسَّرَّاءُ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾(الأعراف : ٩٤-٩٥) فقوله تعالى: ﴿إلا أَخَذنَا ..﴾ يشير إلى المرحلة الأولى وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدّلنَا ..﴾ إلى الثانية وقوله تعالى: ﴿فَأَخَذنَاهُم..﴾ إلى المرحلة الثالثة ما لم يتداركوا أمرهم ويرجعوا إلى الله تعالى.

٣. إن الغرب يتشدق كثيراً بحماية حقوق الإنسان ونشر المنظمات الإنسانية في العالم، بينما يدير وجهه عن تقديم الدعم

عشرات الآلاف في ألف مدينة من شرق الأرض وغربها يوم ١٠/١٥ من هذا العام لرفض النظام القائم.

المناسب لمواجهة هذا المرض بحرب عالمية واسعة للقضاء عليه، وقد اعترف الأمين العام للأمم المتحدة بتنصل الولايات المتحدة الأمريكية ودول الغرب الأخرى عن تعهداتها بتمويل هذا المشروع الإنساني والتخفيف عن آلام المصابين رغم أنها أنفقت أضعاف هذا المبلغ لتمويل حملتها ضد ما يسمونه بالإرهاب وأمثالها من الحروب التي يصطنعونها ويخلقون المبررات لها رغم أن ضحايا الإرهاب المزعوم لا يتجاوز عشر معشار ضحايا الأيدز، فهم إذن لا يهتمون بالمبادئ الإنسانية ولا حل مشاكل البشر ورفع معاناتهم وإنما يحكمهم الربح والخسارة المادية ومواجهتهم لمرض الايدز لا تدرّ عليهم أرباحاً ولا مكاسب.

٤. إن أكثر الدول ابتلاءً بهذا المرض والتي تتواجد فيها أكثر الإصابات هي تلك الواقعة في وسط وجنوب إفريقيا تليها أمريكا اللاتينية ثم الولايات المتحدة وأوربا، وأقل

الشعوب تعرضاً للإصابة هم المسلمون وتكاد تكون بلادهم خالية منه إلى وقت قريب حين انساق البعض منهم وراء شهواته وتقليد الغرب في نمط حياته، حيث نقلت الأنباء خبر موت (٥٨٨) بمرض الأيدز في المملكة العربية السعودية (النشرات الإخبارية ليوم ٢٠٠٤/١١/٣٠)، وهذا يكشف عن دور الدين خصوصاً الإسلام في حماية المجتمعات المؤمنة به والمحافظة على تقاليده الموروثة من الانحراف والشذوذ وما يؤدي إليه من أخطار، وهذا يبرز أثر القيم الروحية في توفير حياة سعيدة مطمئنة للإنسان عكس ما يتصور البعيدون عن الله تعالى من أن السعادة تتحقق بإشباع الغرائز والشهوات.

والمتنفذون المهيمنون على المصالح والشركات في الغرب يعادون الإسلام والمسلمين لأنهم يعرفون هذه الحقيقة ويدركون سرّ قوة المسلمين بتمسكهم بالإسلام؛ لذا فإنهم لا يتوانون عن الكيد لهم

وبث الفتن وإشاعة الفساد والانحراف والتشكيك في العقائد قال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلاَ النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللّهِ مِن وَلِيٍّ وَلاَ نَصِيرٍ﴾(البقرة: ١٢٠) ولا يتورعون للوصول إلى أهدافهم الشيطانية عن سلوك أي سبيل، ومنها ما حصل في العراق في ظل الحصار أيام النظام المقبور عندما أرسلت إحدى دول أوربا الغربية شحنة من الحقن التي تعطى للنساء عند وضع الحمل إذا كانت فصيلة الدم بين والدي الطفل مختلفة وكانت ملوثة بمرض الأيدز.

وهذه الأخبار تدق ناقوس الخطر أمام المسلمين وتلفت نظرهم إلى شكل من أشكال العدوان الذي يمارسه الغرب المستكبر ضدهم، فهو ـ أي الغرب ـ لا يفتر عن الكيد لهم ـ أي المسلمين ـ والتخطيط للقضاء عليهم وكسر شوكتهم وتجريدهم من عقائدهم

وأخلاقهم بنشر وسائل الدمار والفساد والفسق والفجور فيهم ليستعبدهم ويسلب ثرواتهم.

٥. إن عجز الغرب عن مواجهة هذا المرض الفتاك قد يكون له علاقة بالظهور المبارك الميمون للمهدي المنتظر عليه السلام، من حيث أن الأخبار دلت على نزول السيد المسيح عليه السلام لتأييد الإمام عليه السلام، ولما كانت معجزته الرئيسية شفاء المرضى من الأمراض المستعصية وإحياء الموتى، فستكون معالجته عليه السلام لمرضى الايدز بل لموتاه حجة بالغة على اتباعه للتصديق به وبدعوته المباركة.

وهذه مجرد أطروحة قابلة للنقاش، وإلا فإن الرحمة الكبيرة التي يحملها الإمام عليه السلام للبشر جميعاً من أتباعه ومن غيرهم لا تسمح بان يترك البشرية معذبة وتعيش الشقاء، بل يتدخل لإنقاذها ولكن ماذا يفعل لها إذا اختارت الشقاء بنفسها كما قال تعالى ﴿أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ﴾(الزمر:١٩).

٦. مصداقية الأحاديث الواردة عن أهل البيت عليهم السلام مما يكشف عن جانب من استحقاقهم لإمامة الأمة والتبليغ عن الله تعالى، ولنحلّل بهذه المناسبة حديثاً مروياً عنهم (سلام الله عليهم) فقد روى الشيخ الصدوق رضي الله عنه في الخصال وفي ثواب الأعمال والمحاسن للبرقي عن الإمام الصادق عليه السلام والحديث وارد في الآثار المترتبة على ارتكاب فاحشة الزنا، ومن المعلوم أن السبب الرئيسي للأيدز هي الممارسات الجنسية غير المشروعة، قال عليه السلام: (للزاني ست خصال، ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة: أما التي في الدنيا فيذهب بنور الوجه ويورث الفقر ويعجل الفناء وأما التي في الآخرة هو سخط الرب وسوء الحساب والخلود في النار)[1]، وحين تطبق هذه

(١) الخصال: ٣٣١/١، باب الستة، الحديث ٣، المحاسن: ١٩٢/١ الحديث ٣٢٦.

الخصال على نتائج وأعراض مرض الايدز سيكون المطابقة بدرجة دقيقة.

أما ذهاب نور الوجه فمن عدة جهات[1]:

أ- إن المصاب بالأيدز يكون شاحب الوجه وبسبب ضعف الجهاز المناعي عنده فانه يكون عرضة للإصابة بكافة الأمراض مما يجعل بدنه سقيماً عليلاً.

ب- إن من لوازم الوقاية من الأيدز عزل المصاب به اجتماعياً مما يجعله كئيباً شاحباً ذليلاً ومعذباً؛ لأن من طبع الإنسان الأنس بالآخرين لذا جعلوا من وسائل التعذيب في السجون الزنزانة الانفرادية.

جـ- إن التكاليف الباهظة لمعالجة المرض تستنفد كل ما عند المصاب من أموال مضافاً إلى عزله عن القيام بالأعمال بشكل

(١) تجد تفاصيل هذه الفقرات في كتاب عن الايدز للمهندس علي جمعة، طبع ضمن سلسلة (نحو مجتمع نظيف).

طبيعي مما يجعله ذليلاً يطلب مساعدة الآخرين ويستجدي عطفهم.

د- إن البعيدين عن طاعة الله تبارك وتعالى يعيشون خواءً روحياً والروح - كالجسد- تحتاج إلى غذائها فالنقص فيه يجعله في هزيمة نفسية وتمزق داخلي عبر عنها الله تبارك وتعالى بقوله ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً﴾ (طه: ١٢٤).

هـ- إن المصاب بهذا المرض يكون خائفاً قلقاً لخطورة مرضه وانتهائه بصاحبه إلى الوفاة غالباً فيبقى هذا الهاجس يرعبه ويجعله شاحباً خائفاً.

وأما أنه يورث الفقر فمن عدة جهات:

أ- إن المرض أكثر ما يصيب الشباب الذين يتراوح أعمارهم (١٥-٤٥) سنة وهي الشريحة التي تبني البلد وتثري المجتمع بالعطاء والإنتاج، والمرض يقعدهم عن العمل فيفتقرون في أنفسهم ويعطلون نشاط الأمة.

ب- كلفة المعالجة الباهظة التي تستنفد كل الإمكانيات المادية، فان الوصفة الطبية للعلاج غالية الثمن وتتطلب مواظبة يومية على مدى سنين فإذا ضربت كل ذلك في عدد المصابين بالمرض حصلت على أرقام مرعبة من المبالغ.

ت- عزوف أصحاب الأموال عن الاستثمار في المناطق الموبوءة بالمرض وفرارهم منها.

وهذه المعاني والتداعيات الاجتماعية تفسِّر أيضاً ما ورد من النصوص الشريفة في أن الأمم العاصية تحبس عنهم السماء قطرها والأرض بركاتها. ومصداقٌ لقوله تعالى ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾(النحل:١١٢).

وأما تعجيل الفناء فمن أكثر من جهة:

أ- إن النتيجة الحتمية للمصاب بهذا المرض هو الموت في فترة تتراوح بين عدة أشهر إلى عدة سنوات.

ب- إن أكثر ما يصيب المرض هي الفئة العمرية (١٥-٤٥) سنة وهو عمر الإنجاب الطبيعي، فموتهم يعني حرمان الأمة منهم ومن العدد المحتمل الذي يفترض أنهم ينجبونه حتى يقطع دابرهم ويهلك نسلهم وعن مثل هذا قال تعالى في قوم لوط ﴿قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ، وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ، فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ، وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾(الحجر : ٦٣-٦٦) وهي حالة ليست خاصة بقوم بل تشمل كل الأمم المعرضة عن الشريعة الإلهية ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾(هود:٨٣).

ت- إن مرض الأيدز معدي فهو ينشر

سبب الموت بسرعة.

ث- إن المصاب بالأيدز يعيش حالة من الحقد على الآخرين والحسد لهم ويعاني من عقدة الحقارة تجاههم خصوصاً عند شعوره بالنهاية فيندفع للانتقام من الآخرين ويسبب الموت والفناء لهم أيضاً.

إن مثل هذه الدراسة الاجتماعية والتفسير الإنساني (الأنثروبولوجي) لنصوص المعصومين عليهم السلام تبين عظمتهم عليهم السلام وصدق دعوى اصطفائهم من الخالق المدبر، وتساعد بشكل كبير على إقناع غير المنتمين إلى مدرستهم بالرجوع إليهم، وهو الأسلوب الذي ينفعنا في الحوار الحضاري القائم اليوم. كما أنها تقدّم رؤية دقيقة وفلسفة لمشاكل البشرية وآثارها وتداعياتها وكيفية معالجتها، فهذا النموذج الذي قدمناه للتفسير يعتبر دعوة للمفكرين والكتاب والعلماء لإثراء الفكر الإنساني بهذه المعارف والعلوم المأخوذة من النبع الصافي.

من هذا كله يتحصل أن البشرية إذا أرادت أن تعيش بسعادة وسلام وطمأنينة فعليها العودة إلى الله تبارك وتعالى والالتزام بشريعته ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾(الأعراف:٩٦) وهنا يأتي العتاب بل الإنذار من الله تبارك وتعالى ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتاً وَهُمْ نَائِمُونَ، أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحىً وَهُمْ يَلْعَبُونَ، أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (الأعراف:٩٧، ٩٨، ٩٩) وسلسلة الآيات طويلة تبدأ من الآية ٩٣ من سورة الأعراف وما بعدها وهي جديرة بالتأمل والتدبر وكسائر آيات القرآن ليصحو الإنسان من غفلته فلا تفوتنكم.

أسأل الله تعالى أن يوقظنا من نومة الغافلين وأن يهدينا الصراط المستقيم ويجعلنا من المتمسكين بحبله المتين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

الفصل السادس
النهضة الحسينية
والدفاع عن حقوق الإنسان

النهضة الحسينية والدفاع عن حقوق الإنسان[1]

يحتفل المجتمع الدولي يوم (١٠-١٢) من كل عام باليوم العالمي لحقوق الإنسان وهو اليوم الذي أعلنت فيه الأمم المتحدة وثيقة مبادئ حقوق الإنسان عام ١٩٤٩، وقد طابق هذا العام ذكرى استشهاد الإمام السجاد عليه السلام صاحب أكمل وثيقة لحقوق الإنسان وهي (رسالة الحقوق)، وصادفت هذا العام في شهر محرم الحرام وفي ظل أجواء النهضة الحسينية المباركة، فيكون من المناسب الإشارة إلى جملة من مبادئ حقوق الإنسان والمثل الإنسانية العليا التي جسدها

(١) كلمة سماحة الشيخ اليعقوبي (دام ظله) في الملتقى السنوي لمدراء فروع جامعة الصدر الدينية في النجف وسائر المحافظات يوم الأربعاء ٢٧ محرم ١٤٣٤ الموافق ٢٠١٢/١٢/١٢.

الإمام الحسين عليه السلام في نهضته المباركة أقوالا وأفعالا باللغة المتداولة في هذا العصر، لنوصل البشرية إلى هذا المعين النقي الذي يمدها بكل مقومات الحضارة الإنسانية، ولنقوم بشكل من إشكال النصرة التي طلبها الإمام السبط الشهيد عليه السلام بإبراز القيم السامية و المثل العليا التي عمل عليه السلام على إقامتها وترسيخها ودعوة الناس إليها.

وسنتعرض باختصار لذكر عدد منها تاركين التفصيل إلى فرصة أخرى.

١. وأول تلك المبادئ وأهمها وأرقاها والتي تتقوم بها إنسانية الإنسان هي الحرية ونعني بها الانعتاق من عبودية ما سوى الله تبارك وتعالى، من خلال السعي لتحقيق العبودية الحقة لله تبارك وتعالى بالتوحيد الخالص وطاعته تبارك وتعالى وطاعة من أمر الله تبارك وتعالى بطاعته.

وقد كان تحرير الأمة من عبودية الطواغيت ومن أغلال الخنوع والاستكانة

والركون إلى الدنيا وضعف الهمة ومن الجهل والنفاق أهم نتائج النهضة الحسينية، حتى أصبح الإمام عليه السلام سيد الأحرار ورمزهم ورائد كل حركات التحرر إلى يومنا هذا وإلى قيام القائم (عجل الله تعالى فرجه الشريف).

وما كان عليه السلام يستطيع تحقيق ذلك لولا أنه امتلأ معرفة بالله تعالى، وتجرد من كل ما سوى الله تعالى، وعاش عبداً مخلصاً لله تبارك وتعالى، وكيف لا يكون كذلك وهو من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً بنص القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة.

وكان كل كيانه ووجوده لله تبارك وتعالى، ومن يتأمل في دعائه عليه السلام يوم عرفة يجد ذلك واضحاً في علاقته مع ربه، والمعارف الإلهية المودعة فيه، والتي هي الوسيلة للوصول إلى العبودية الحقيقية والتوحيد الخالص (كيف يستدلّ عليك بما هو في وجوده مفتقر إليك، أيكون لغيرك من

الظهور ما ليس لك حتى يكون هو المظهر لك، متى غبت حتّى تحتاج إلى دليل يدلّ عليك، ومتى بُعدتَ حتى تكون الآثار هي التي توصل إليك، عميت عين لا تراك عليها رقيبا، وخسرت صفقة عبد لم تجعل له من حبِّك نصيباً) (وأنت الذي تعرّفت إليّ في كل شيء فرأيتك ظاهراً في كل شيء).

وهكذا كان الإمام عليه السلام إلى آخر لحظة من حياته المباركة، وكانت أدعيته عليه السلام يوم عاشوراء معبّرة عن هذه العلاقة وهذا الارتباط، فقد افتتح يوم العاشر حين اصطف الجيشان للقتال بدعائه الذي يظهر منه كمال الانقطاع إلى الله تعالى فافتتح خطابه مع القوم بالدعاء (اللهم أنت ثقتي في كلّ كرب، وأنت رجائي في كلّ شدّة، وأنت لي في كلّ أمرٍ نزل بي ثقة وعدّة، كم من همٍّ يضعف فيه الفؤاد وتقلُّ فيه الحيلة ويخذُلُ فيه الصديق ويشمُتُ في العدو، أنزلتُهُ بك وشكوتُهُ إليك، رغبة منّي إليك عمّن سواك، ففرّجته وكشفته،

فأنت وليّ كلِّ نعمة وصاحب كلِّ حسنة ومنتهى كلِّ رغبة) وكان عليه السلام يثني على كل موقف حر أبي، لذا أكبَرَ عليه السلام موقف الحر الرياحي لتحرّره من عبودية الطاغوت ووقف على مصرعه قائلاً له (والله ما أخطأت أمك إذ سمتك حراً فأنت والله: حرٌ في الدنيا وسعيد في الآخرة)[1].

٢. العدالة بين أفراد الأمة من دون تفريق بين أحد وآخر لأي من الاعتبارات الموجودة، وقد كثر هذا المعنى في كلماته عليه السلام، حتى أنّه استغرب من طاعة جيش العدو لأمرائه من دون توفير هذا الحقّ لهم، فقال لهم يوم عاشوراء موبّخاً (تباً لكم أيتها الجماعة وترحا!... فأصبحتم ألباً على أوليائكم

(١) مصدر هذه النصوص كتاب (موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام) إصدار معهد تحقيقات باقر العلوم في الصفحات التالية ٥٣١، ٩٥٩، ٤٣٢، ٤٣٣، ٣٨٣، ٥١١، ٤٥٧، ٥١٢، ٤٨٣، ٤٨٥، ٤٩١، ٥٠١، ٥١٩، ٥٠٥.

ويداً عليهم لأعدائكم، بغير عدلٍ أفشوه فيكم، ولا أمل أصبح لكم فيهم، إلا الحرام من الدنيا أنالوكم، وخسيس عيشٍ طمعتم فيه).

وكان عليه السلام يطالب بالتوزيع العادل للثروة على الشعب بلا استثناء ولا هدر للمال العام ولا تبديد للثروات على النزوات والشهوات والحماقات، فقد جعل عليه السلام من أهداف خروجه على السلطة الحاكمة أنّهم (أظهروا الفساد وعطّلوا الحدود واستأثروا بالفيء).

٣. المساواة في الحقوق الاعتبارية والمادّية، فأما الأولى: فقد اختلط دم أهل بيت النبوّة بدماء غيرهم ووقف الإمام الحسين عليه السلام على مصرع جون وهو مولى لأبي ذر أسود اللون كما وقف على مصرع ولده علي الأكبر شبيه رسول الله صلى الله عليه وآله خَلقاً وخُلُقاً ومنطقاً، وشكر سعي الجميع وتضحيتهم بكلمات رفيعة بلا فرق بينهم، وأمّا في الحقوق المادّية فقد قدّمنا رفضه عليه السلام للاستئثار في ثروات الشعوب ومطالبته بمراعاة حقوق الجميع على

حد سواء.

٤. العمل بالدستور والقوانين التي آمنت بها الأمة بملء إرادتها واختيارها، والمطالبة بتطبيقها وهي بالنسبة للمسلمين: القرآن الكريم والسنة الشريفة، قال عليه السلام في كتابه لأهل البصرة: (وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيّه فإنّ السنة قد أميتت وأن البدعة قد أُحييت، وإن تسمعوا قولي وتطيعوا أمري أهدكم سبيل الرشاد) ويصف السلطة الحاكمة بأنّهم (لزموا طاعة الشيطان وتولوا عن طاعة الرحمن، وأحلّوا حرام الله وحرّموا حلاله) أي انقلبوا على الدستور وغيّروا أحكامه.

٥. احترام إرادة الأمة في تولية أمورها إلى مستحقيها الذين يقومون فيها بالقسط والعدل وينصفون المظلومين ويعمرون الحياة بالخير ويقرّبون الناس إلى الله تبارك وتعالى، ومنع وصول الفاسدين والمستبدّين إلى السلطة، بالطرق غير المشروعة كالانقلابات العسكرية وتزوير إرادة الأمة، قال عليه السلام: (أمّا

بعد أيّها الناس: فإنّكم إن تتّقوا وتعرفوا الحقّ لأهله يكون أرضى لله، ونحن أهل البيت وأولى بولاية هذا الأمر عليكم من هؤلاء المدّعين ما ليس له، والسائرين فيكم بالجور والعدوان).

٦. الكرامة ورفض الذلّ والمهانة بكل أشكالها، من خطبة له عليه السلام يوم عاشوراء (ألا ان الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين، بين السلّة والذلّة، وهيهات منّا الذلة، أبى الله ذلك ورسوله، وجدود طابت وحجور طهرت، وأنوف حميّة ونفوس أبيّة، لا تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام).

٧. إحقاق الحق ونصرته، وإبطال الباطل ومقاومته بكل الوسائل المتاحة التي تقتضيها الحكمة وتكون مطابقة لأحكام الشريعة حتّى لو أدّت إلى شهادته، قال عليه السلام: (ألا ترون أنّ الحق لا يُعمل به، وأنّ الباطل لا يتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء ربِّه محقاً، فإنّي لا أرى الموت إلاّ سعادة والحياة مع

الظالمين إلا برما).

٨. الإصلاح وتصحيح الواقع الفاسد وإقامة البديل الصالح في كل تفاصيل شؤون الأمة، سواء على صعيد الوضع السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي أو القضائي أو الأخلاقي والعقائدي وغيرها، من خلال أداء وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بكل أدواتها وكافة مستوياتها، قال عليه السلام (أما بعد فقد علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وآله قد قال في حياته (من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرم الله، أو تاركاً لعهد الله، ومخالفاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله، فعمل في عباد الله بالإثم والعدوان ثم لم يغيّر عليه بقول ولا فعل، كان حقاً على الله أن يدخله مدخله) وقد علمتم أنّ هؤلاء لزموا طاعة الشيطان، وتولّوا عن طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطّلوا الحدود، واستأثروا بالفيء وأحلّوا حرام الله وحرّموا حلاله وأنا أحقّ من غيّر).

وكتب عليه السلام في وصيته (وإنّي لم أخرج

أشراً ولا بطِـراً ولا مفسـداً ولا ظالمـاً، وإنمـا خرجت لطلب الإصلاح في أمة جـدّي صلى الله عليه وآله، أريد أن أأمر بالمعروف وأنهـى عـن المنكـر، وأسير بسيرة جدّي وابي علي بن أبي طالب).

٩. حريّة التعبير عن الرأي واتخاذ القرار بكل اختيار وإرادة من دون أي تأثير وإكراه.

في ليلة عاشوراء والعـدو عـازم علـى مناجزته القتال وقـد تكامـل عـددهم ثلاثـين ألفا وهو عليه السلام في سبعة عشر من أهـل بيتـه و سبعين من أصـحابه، ومـن كـان فـي ذلـك الموقف يتشبّث بأي عدّة أو عدد، نراه يجتمع مع اصحابه ويقوله لهم (إنّي لا أحسب القـوم إلاّ مقاتلوكم غداً، وقـد أذنـت لكـم جميعـاً، فأنتم في حلٍّ مني وهذا الليـل قـد غشـيكم، فمن كانت له منكم قوّة فليضمّ رجلاً من أهل بيتي إليه وتفرقوا في سوادكم).

١٠. الشفافية والوضوح وعدم المخادعة والتضليل.

من كلامه عليه السلام مع أصحابه وقد جمعهم

ليلة العاشر من المحرم ليكاشفهم بالأمور قال عليه السلام: (اعلموا انكم خرجتم معي لعلمكم أني أقدم على قوم بايعوني بِألسنتهم وقلوبهم، وقد انعكس الأمر بأنّهم استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله، والآن ليس لهم مقصد إلاّ قتلي وقتل من يجاهد بين يدي، وسبي حريمي بعد سلبهم، وأخشى أن تكونوا ما تعلمون وتستحيون، والخدع عندنا أهل البيت محرّم، فمن كره منكم ذلك فلينصرف).

١١. الرحمة والشفقة عليهم والنصيحة لهم.

فقد أبلغ في النصيحة لجيش العدو وألقى عليهم الخطبة بعد الخطبةِ وضمّنها كلّ الحجج الدامغة والكافية لردعهم عن اقتراف هذه الجريمة، ووعظهم بأنواع المواعظ، ولكنّهم كانوا كما وصفهم الإمام عليه السلام (لقد استحوذ عليكم الشيطان فأنساكم ذكر الله العظيم، فتباً لكم وما تريدون) حتّى قال عليه السلام (ألا إنّي قد أعذرت وأنذرت) وقال لزهير بن

القين بعد أن وعظ القوم (أقبل، فلعمري لئن كان مؤمن آل فرعون نصح لقومه وأبلغ في الدعاء، لقد نصحت لهؤلاء وأبلغت، لو نفع النصح والإبلاغ).

وفي بعض الروايات أنّه بكى يوم عاشوراء شفقة على أعدائه معللاً ذلك بأنهم (يدخلون النار بسببي) وهو كجدّه وأبيه وأخيه (صلوات الله عليهم أجمعين) أرسلوا رحمة للعالمين.

١٢. عدم التجاوز على حقوق الآخرين وردِّها إلى أهلها، ومن ذلك أمره عليه السلام لبعض أصحابه قائلاً (نادِ في الناس أن لا يقاتلن معي رجل عليه دَين، فإنّه ليس من رجلٍ يموت وعليه دين لا يدع له وفاءاً إلا دخل النار) فهو عليه السلام لا يرى هذا الموقف العصيب والمفصل التاريخي في حياة الأمة مبرّراً للتقصير في إرجاع الحقوق إلى أهلها.

وروى الإمام الباقر عليه السلام عن أبيه السجاد عليه السلام أن آخر ما أوصاه أبوه

الحسين عليه السلام عندما ودّعه وخرج للقتال (يا بني اتقِ ظلم من لا يجد له ناصراً إلا الله تعالى).

١٣. التضحية بالمصالح الخاصة من أجل وحدة الأمة ومصالحها العليا، قال عليه السلام (أمّا بعدُ، فإنّ الله اصطفى محمداً صلى الله عليه وآله على خلقه، وأكرمه بنبوّته، واختاره برسالته، ثم قبضه الله إليه، وقد نصح لعباده، وبلّغ ما أُرسل به صلى الله عليه وآله وكنّا أهله وأولياءه وأوصيائه وورثته، وأحقّ الناس بمقامه في الناس، فاستأثر علينا قومنا بذلك، فرضينا وكرهنا الفرقة وأحببنا العافية، ونحن نعلم أنا أحقُّ بذلك الحق المستحق علينا ممّن تولاه).

وكان من أهم ما أوصى به الإمام الحسين صلى الله عليه وآله كوسيلة لتحقيق هذه المبادئ الإنسانية العليا: الصبر والرضا بقضاء الله تبارك وتعالى وعدم الجزع من المكاره والمصائب.

لمّا سمعت العقيلة زينب عليها السلام أخاها الحسين عليه السلام ينعى نفسه وهو يصلح سيفه ليلة

عاشوراء لطمت وجهها وخرّت مغشياً عليها فصبّ على وجهها الماء وقال لها: (يا أختاه تعزي بعزاء الله وارضي بقضاء الله، فإنّ سكّان السماوات يفنون وأهل الأرض يموتون وجميع البريّة لا يبقون، وكل شيء هالك إلاّ وجهه، له الحكم وإليه ترجعون، وإنّ لي ولكِ ولكل مؤمن ومؤمنة أسوة بمحمد صلى الله عليه وآله.

أقول: هذا باختصار بعض ما يمكن استخلاصه من كلمات الإمام الحسين عليه السلام ومواقفه فيما يتعلّق بحقوق الإنسان، وعلينا ـ ونحن نخوض هذه المواجهة الحضارية مع الغرب الذي يوصف بالمتمدّن ـ أن نُعمّق مثل هذه المعرفة وننهل المزيد منها لنقدّمها للمجتمع البشري كمنظومة متكاملة قادرة على تحقيق السعادة والازدهار والكرامة والحرية لبني الإنسان.

الفهرس

الفصل الأول كلمة الحوزة العلمية بمناسبة الاحتفالات بأعياد الميلاد وراس السنة الميلادية.٥
كيف يجب أن تكون مشاعرنا: ١٠
المطلوب محاسبة النفس كل ليلة:.....١٤
الموعظة ليست للمسلمين فقط:.....١٧
ما هي الحقيقة التي يخفونها:.....٢٢
هناك شخصين مسميين بالمسيح:.....٢٣
فناء الأشخاص في شخص القائد:.....٢٦
بداية التأريخ الإسلامي:.....٢٧
يوم الغدير أعظم عيد: ٢٨
مشاهد من عبثية الغرب:.....٣٩
خاتمة:.....٤٣
الفصل الثاني يوم عرفة .... اليوم العالمي للتوبة..٤٥
الفصل الثالث يوم النزاهة والنظام الأمثل ٦١
يوم النزاهة والعدالة والنظام.....٦٣
الفصل الرابع مع اليوم العالمي للتدخين.....٦٧
الشريعة والتدخين.....٨١

الفصل الخامس مع اليوم العالمي لمكافحة الأيدز ٩٣
دروس وعبر ٩٥
الفصل السادس النهضة الحسينية والدفاع عن حقوق الإنسان..... ١١٣
النهضة الحسينيةوالدفاع عن حقوق الإنسان ... ١١٥